

روايات الهلال

الطيور.. لن تعود

عبد المقصود محمد

REWAYAT AL-HILAL

No. 438 — June 1985



روايات الهلال

RAWAYAT AL-HILAL

نصدر عن مؤسسه . دار الهلال

العدد ٤٢٨ - يوتية ١٩٨٥ - رمضان ١٤٠٥
No. 438 - June 1985

رئيس مجلس الإدارة: مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير: مصطفى نبيل

سكرتير التحرير: موسى عيد

الإشتراكات

لقيمة الاشتراك السنوي « ١٢ قديدا » في جمهورية مصر العربية ستة جنيهات بالبريد العادي وفي بلاد اتحاد البريد العربي والأفريقي والباكستان اثنا عشر دولارا أو مايعادلها بالبريد الجوي وفي سائر أنحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوي .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع نقدا أو بحوالة بريدية للحكومة وفي الخارج بشيك مصرفي لأمم مؤسسه دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه تحت الطلب .

أسعار البيع في البلاد العربية والخارج للأعداد العادية من سلسلة روايات الهلال الشهرية بسعر ٥٠٠ مليم للقارئ في مصر ، سوريا ٩٠٠ ق.س ، لبنان ٩٠٠ ق.ل ، الأردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٩٠٠ فلس ، العراق ١٢٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، السودان ١٢٥٠ م. سوداني ، تونس ١٢٥٠ مليما ، المغرب ١٢٥٠ فرنكا ، الجزائر ١٢٥٠ سنتا ، الخليج ٨٠٠ فلس ، غزة والضفة ٥٠٠ سنتا ، الصومال ٨٠ بني ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لاجوس ٨٠ بني ، أسهرة ٦٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٧ ريالات ، اديس ابابا ٦٠٠ سنت ، باريس ١٢ فرنكا ، لندن ١٠٠ بنس ، إيطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، سويسرا ٤ فرنكات ، أينا ١٠٠ دراخمة ، فيينا ٤٠ شلن ، فرانكفورت ٥ ماركات ، كوبنهاجن ١٥ كرونة ، استوكهولم ١٥ كرونة ، كندا ٣٠٠ سنت ، البرازيل ٤٠٠ سنت ، نيويورك ٣٥٠ سنتا ، لوس أنجلوس ٤٠٠ سنت ، استراليا ٤٠٠ سنت ، هولندا ٤ فلورين ، عدن ٤٠٠ فلس

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

تليفون : ٦٢٥٤٥٠ . سبعة خطوط .



روايات الله

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

الخلايا برشته الثانية
مسوية حنين

الطيور لن تعود

بقلم

عبد المقصود محمد



دار الهلال

« إهداء »

لولا حبك وحنانك ورعايتك
ما وجلت وقتا لكتابة هذه
الصفحات التي أهديها إلى
روحك الطاهرة يا أمي

مقدمة

بقلم : الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى

ما يزال الروائى الجديد « عبد المقصود محمد » يتلمس طريقه إلى أن يكون روائيا عظيما . والبداية التى تتمثل فى أولى رواياته التى نشرت منذ أربعة أعوام « إذا جاء الشفق » - ضمن سلسلة روايات مختارة - كانت واعدة بالكثير وهذا هو بعد هذه الأعوام من العكوف على القراءة والتأليف يخرج لنا روايته الثانية « الطيور لن تعود » لتبشر بأن هذا الروائى لاشك واصل باذن الله إلى مكانة فنية فى عالم الرواية تتحقق فيها آماله وآمالنا فى مستقبل الرواية العربية المصرية .

والروائى « عبد المقصود محمد » له خصائص أسلوبية يحافظ عليها ويجهد فى تطويرها دون أن تفقد أصالتها فى الدلالة على شخصيته . ففي روايته الاولى كنا نتحسس معه فى هذه المجموعة من العرب مسلمين ومسيحيين ويهود ما يربط بين العرب جميعا من خصائص مميزة قومية ودينية وتاريخية . وفى هذه الرواية التى تقدمها للقارئ اليوم نجد يركز على مجتمع « البلدة » الصغيرة بين القرية والمدينة التى تشرئب بعنقها نحو التغير فتتحرك نحوه ولكن فى ببطء شديد يأتى من طبيعة البشر ومن رواسب السنين ولكنه يأتى أساسا من إيمان بالقدر غير سليم . فقدرة الانسان من قدرة الله ، ألم يخلق الله الانسان على صورته ؟

ولا سبيل إلى فهم قدرة الله حق الفهم إلا إذا أمنا بأن الله خلق الإنسان قادرا في حدود قدرة الله . ومن هنا كان واجبا أن تتصح مفاهيم كثيرة وأن تصوب مدركات أساسية وأن نعيد ترتيب قيمنا وأن نفوس في أعماقها لنصل إلى جذورها السليمة .

في هذه البلدة مدرسة ، وبطل « الطيور » لن تعود » وهو راوى القصة يأتي إليها مدرسا موفدا من العاصمة ، لا تربطه بالعاصمة إلا أواصر هامة وفي البلدة يجد مجتمعا غريبا عليه ولكنه في الوقت نفسه فيه من المألوف ما يجعل التعامل معه يسيرا ، ويتحرك البطل وسط هذه المجموعة بعلاقات تختلف وتتطور حتى يصبح واحدا منهم بالزواج من بنت من بناتهم .

ولا يفوت البطل الراوى أن يذكرنا وهو يصف عجرة الناظر بالنظرة التي مازالت سائدة إلى الزواج ودوره في بناء المجتمع الجديد .

وعنصر الشر في البلدة يكاد يكون شرا مصفى مثلما يوجد في حكاوى الأطفال : مجدى يرتكب أى شيء فى سبيل ما يريد وما أحقر ما يريد وكل هذا تحت غلاف شفاف لم يلححه البطل أول الأمر ثم عرفه واختبره .

وتقف بنهاية الرواية وهى هامة جدا ومحك كبير لقدرة أى رواى مهما عظم . هنا نجد هجرة إلى الأمل الجديد : تعمير الصحراء . . وقد دفع إليه حادث واقعى مقنع منطقيا ولكنه غير مقنع فنيا ذلك أن البطل اشتبك فى معركة مع الشر « مجدى » فانهايت عليه الزوجة الشابة « بيد الهون » فأردته صريحا فيما بدا

لهما • فحمل البطل المدرس زوجه وابنته « أمل المستقبل » وفر •
ولما لفظته المدينة ممثلة فى أقاربه اتجه إلى صحراء وهناك علم أن
مجدى لم يمت وأنه ماكان هناك أى داع للهجرة ولكن « الطيور
•• لن تعود » ••

وهذه النهاية كما أسلفت مقنعة منطقية ولكنها لا تخدم فنية
الرواية التى تحركت طوال صفحاتها على « رتم » بطيء وفجأة تتكوم
أحداث جسام فى صفحاتها الأخيرة •

والنهاية هامة لا من حيث تحديدها لقدرات الروائى الفنية فحسب
ولكن من حيث أنها هى مفتاح الهدف للرواية كلها • والهدف
سواء أكان واضحاً أو غائماً ، بسيطاً أو معقداً فهو يشكل البداية
وتسلسل الأحداث ويحرك الشخصيات ويؤثر بشكل فعال فى
الحوار •

لحسن الحظ لا نجد مؤلفنا ينزلق بسهولة فى المباشرة والتبشير
بما يزيد قوله أو يهدفه • وقد كان ذلك عيباً من عيوب روايته
الأولى تجاوزه فى روايته هذه الثانية بقدرة واضحة •

ان « عبد المقصود محمد » ما يزال يعتمد اعتماداً واضحاً على
الشكل الكلاسى للرواية أى على الشكل السردى المتتابع زمنياً
والذى لا يستغل المكان ليقوم بدوره ، غير أن يكون مجرد مكان
للأحداث وفى مثل هذه الروايات يتوحد المكان كثيراً وإذا تغير
فانه لا يتغير إلا مرات قليلة ليكون وعاء مناسباً للأحداث ولتواجد
الشخصيات ولكنه لا يؤدى أى دور • حتى مناظر الضيعة وحتى
ما يدل عليه وجود عنصر منها فى كل عنوان لروايتيه « الشفق »

فى الأولى « والطيور » فى الثانية حتى هذه المناظر تأتى لما
 ولا توظف . ولكنه لحسن الحظ لا يقف بها متغزلا فى عالم
 رومانسى بعيد عن أحداث الرواية وجوها . إنها لمحات طبيعية
 سريعة إن كانت مقصودة فهى لا تنم عن هذا القصد . و « عبد
 المقصود محمد » تتجلى قدراته فى تحرك الحدث تحركا بطيئا
 طبيعيا ملائما لحياة البلدة وفى تحرك الأحداث ، ومن خلال هذا
 التحرك أساسا تعرف على الشخصيات : فهى من أفعالها وحوارها
 تتكون أمامنا - وأن يكن التكوين سريعا نوعا ما - ثم تستمر
 تحرك من الأحداث فى بطنها ورتابتها فى نفس الاطار الذى
 رسمته لنا تحركاتها وأقوالها الأولى .

ولابد من أن أنه بملكة الوصف ، وصف الأشياء والناس
 فالروائى الجديد يتفوق فى هذا وفى جعل اللوحات السريعة
 القوية - فى إعطائنا الخطوط العريضة للجو أو للشخصية - تمتاز
 بالشفافية والتوفيق فى اختيارها من بين كل ما حولها من ركام
 الحياة اليومية ، مما هو غير فنى ، أو غير لازم للصورة الفنية .
 إن رواية « الطيور » لن تعود « من أحسن ما قرأت للشباب
 الباحث على طريق الفن الطويل ، وما أكثر ما يعرض الشباب على
 من إنتاجهم وما أكثر ماتجلى سعادتى عندما أجد من بينهم قلة
 أراها فعلا واعدة مبشرة بمستقبل أرجو أن يكون عظيما ومن أبرز
 من فى هذه القلة مؤلف هذه الرواية .

سهى القلماوى

كانت السيارة النصف نقل تسير فى شوارع القرية مخلفة سحب الدخان والتراب ، الأطفال يجرون وراءها محاولين اللحاق بها ، رأيت الباب مغلقا ، طلبت من السائق أن يطلق « زمرة » قوية ففعل ، نزلت من السيارة ، تراجع الأطفال ووقفوا متربصين على بعد عشرة أمتار ، ناديت بأعلى صوتى :

— يا أستاذ مجدى ، أستاذ مجدى •

دققت الباب بشدة ، لكن أحدا لم يرد ، تملكنتى الحيرة ، رأيت القلق فى عينيه ، تنهد وسألنى محركا يده بعصبية ، أليس معك مفتاح ؟

— لا ، ممكن تساعدنى !

— ممكن •

قالها بنوع من الضيق ونزل يبحث عن شىء ، التقط حجرا ، فك به جانبا من صندوق السيارة صعد فوقها وبدأ يناولنى أجزاء السرير ، صندوق الكتب ، حقيبة الملابس وبعض الأدوات المنزلية . شكرته وأعطيته جنيهين ، تبقى من الأطفال ثلاثة ، وقفوا يحملقون ويتهامسون ناديت أحدهم وسألته : تعرف الجمعية الزراعية ؟

— نعم •

— اذهب وقل للأستاذ مجدى : جاءك ضيف •

— طيب •

وضع ظرف الجلباب فى أسنانه وانطلق رافعا ذراعيه كجناحى
الطائرة •

انبعث من المنزل المقابل صوت أجش : يادعبس •• يادعبس •
لبى أحد الطفلين النداء بسرعة ووقف الآخر يعضن ياقة جلبابه
وينظر إلى بعينين نصف مفتوحتين • لمحت فى شباك المنزل المقابل
فلاحة ترفع رأسها وتشرئب لكى ترائى ، احترمت فضولها
والتفت إلى الجابب الآخر ، فجأة ظهرت أمامى فتاة فى مقبـل
العمر ، وجهها ناصع البياض ، ملء بالنمش ، شعرها كستائى
منكوش ، ترتدى ثوبا أسود ، جرت نحوى وأمسكت يدى وهى
تصرخ بصوت مجوح :

— آه ، الدم ، حسن •• آه ، حرام ، الدم •••

— ابعدى ياسعاد يامجنونة ، عيب •• اتركى الأستاذ •
قالها أحد الأطفال محاولا أن يبعدها عنى ولكنها استمرت فى
الصراخ وضغطت على معصمى فانفرست فيه أظافرها الطويلة ،
تملكنى الضيق فربت على كتفها مهدئا وسألتها : ماذا تريدن ؟
— أعطها قرشا يا أستاذ •

— كنت قل لى من الأول وارجحنى •

خطفت القرش وابتعدت وهى تردد كلمات غير مفهومة ، بهـد
لحظات خرج من المنزل المقابل فلاح كهل يرتدى ثوبا أزرق بفتحة
واسعة ، صدره مغطى بالشعر الأبيض ، تبرز عظام صدره تحت
رقبة رفيعة معروفة ، وجهه شاحب ملء بالتجاعيد ، تعلو شفتيه
ابتسامة تفيض بالألفة ، على بعد ثلاثة أمتار صاح وكأنه يصرخ

من مدة طويلة : أهلا وسهلا •

— أهلا يا حاج •

— تفصل معى حتى يأتى الأستاذ مجدى •

— شكرا ، أرسلت صيبا يناديه •

— الجمعية مغلقة ويظهر أنه فى مشوار •

— لكن هذه الحاجات ...

— لا ، اطمئن .. تعال هنا يادعيس •

شكرته وذهبت معه ، نادى زوجته : « يا أم دعيس ، افتحى
المندره » •

— ٢ —

أقفاص الحمام معلقة على الجدران ، الذباب يحوم فى أسراب
ويحط على بقايا الأطعمة المتناثرة ، ملأت أنفى رائحة مركبة من
النشادر ودخان الفرن ، المندرة فسيحة متجددة الهواء ، جلست
على أريكة من الخشب مغطاة بفروة خروف ، رجب بى كثيرا وهو
يحضر أدوات الشاى فقلت :

— والله يا حاج ماتعب نفسك •

— ألن نستطيع القيام بالواجب ، ولا ايه • ؟

— لا أقصد •

— خلاص .. وليتك تطاوعنى ، عندنا صينية بطاطس معمولة
فى الفرن •

— شكرا يا حاج .. ألف شكر •

- جلس القرفصاء وبدأ يشعل الوابور ثم سألتى :
- وحضرتك تقرب أياه لمجدى أفندى ؟
 - شكلى يدل على ذلك ؟
 - القرابة ليست بالشكل .
 - أنا مدرس جديد ، وبحشت عن سكن فى الكفر فلم أجد والاستاذ مجدى وافق على أن أسكن معه .
 - طيب .. على خيرة الله .
 - قالها بتردد كمن يسلم بأن لافائدة من الكلام ، لكنه استطرد بنبرة من يريد أن يتأكد :
 - يعنى حضرتك لست من الصعيد ؟
 - لا ، أنا من روض الفرج .
 - أهلا وسهلا ، أنا لى أخت جنبكم فى شبرا وكلما سمح الوقت أذهب لزيارتها .
 - ربنا يخليكم لبعض .
 - الله يكرمك ، شىء إلهى .. قلبى انفتح لك وأحسست بأنك ليس عندك لوع ولا تفريك تقاليع الخفافس والكلام الفارغ .. مجدى أفندى طالع فيها ، مسبب شعره ومعلق على الجدران صور الراقصات وحاجة مسخرة ، إنما حضرتك مختلف عنه ، حكم أولاد الأصول سيماهم على وجوههم .
 - شكرا ، هذا شعور طيب منك يا حاج .
 - يظهر أن والدك رجل متدين .
 - الحقيقة ، أنا يتيم وأخى الأكبر هو الذى قام برعايتى والاتفاق

على حتى تخرجت فى كلية الآداب •

— ولعم الأخ •• على العموم اعتبره حل مؤقت •

— ماهو ؟•

— السكن •

— آه •• ربنا يسهل •• انما إيه رأيك فى مجدى ؟•

— مجدى ؟•

نطقها باستياء واضح وزاغ بعينه لحظات ثم قال :

— أنا فى الأول حسبك من أقارب مجدى فقلت أحكى لك

ما يحدث منه لعلك تؤثر فيه •

— انت شغلتنى وأرجو أن تصارحنى •

— أصارحك بابه ولا إيه ١٠٠

تهدد وأشاح بوجهه فانعكس ضوء الوابور على تجاعيده الفائرة
كان مستغرقا فى تفكير حزين ، ألفت مواصلا حديثه : نحن دائما
نعتبر أن الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق ، ومجدى هذا
يعض اليد التى تطعمه ، جاء الى البلد من ستين وكان مثل القطعة
المغمضة فأحبيناه كلنا ، وبمرور الوقت ظهر على حقيقته •

— لكنى رأيت الناس يحترمونه •

— إذا قابلك السفیه ، اعمل له كمكة وهاديه •

— من يسمع كلامك يشعر أن مجدى مقطع السمكة وذيلها

كما يقولون •

— أغلبية الناس مازالوا مخدوعين فيه •• تفضل الشاى •

تناولت الكوب ، أدى به الاتعمال الى نوبة من السعال ،

شمرت بعدم ارتياح وقلت لنفسى : لو كلامه صحيح ... تبقى
داهية ؟ •

مرت لحظات من الصمت وهو ينظر للأشياء ثم قال :
— ماكان يصح أن أقول هذا الكلام ولكنى صارحتك حتى
تكون على بينة .. وعلى رأى المثل : حرص من صاحبك ولا
تخونه •

— فعلا •

قلتها وأنا شارد الذهن ، أحسست أنه سيتراجع ويحول دفعة
الحديث ، حاولت الامساك بطرف الخيط فقلت :

— يظهر أنه إنسان غريب خالص •

— ياسلام على هذا البنى آدم ياسلام ؟ •

قالها بنبرة أسمى ، مط شفتيه بنوع من الضيق ، رفع حاجبيه
محاولا تذكر شيء محدد ثم أكمل قائلا :

— من حوالى سنة حصلت جريمة قتل وكان من المشتبه فيهم
إنما تعرف .. طلع منها كما تطلع الشعرة من العجين •
— يجوز أنه كان بريئا •

— وحياتك ، كان له يد فى العملية وكان يطمع فى زوجة القتل
.. سعاد المجنونة ، البت ماسحت عنها •

تذكرت وجهها الأبيض المنمش ، شعرها الكستائى المنكوش ،
أظافرها الطويلة ، تمنيت أن يكون مخطئا وتملكتنى الحيرة فقلت :
— ومن هو القاتل الذى ..
— الأستاذ مجدى وصل •

قالها ابنه دعبس قاطعا سؤالي ، قرأت في عينيه كلاما كثيرا
لخصه بسرعة :

- قيدوها ضد مجهول وأراحوا أنفسهم •
- يا للأسف •

قلتها وارتشفت ماتبقى من الشاي ثم شكرته وقت •
كان باب المندرة مفتوحا ، رأيت الفلاحة التي تطلعت إلى من
الشباك ، دخلت حاملة فنطاس المياه ، فارعة الطول ، ممثلة
القوام ، خمرية كحلاء ، تفيض بالمافية والشباب ، تقدمني
أبو دعبس إلى خارج البيت قائلا : تفضل يا أستاذ .. هذه المرة
لا تحسب وتبقى حضرتك تشرفنا •
— باذن الله يا حاج •

— ٣ —

بدأ الجو يعم وتداعى الناس إلى السكون ، وجدت الباب
مفتوحا ولا شيء من حاجياتي في الشارع ، كانت لفطة كريمة منه ،
صفقت وناديته : يا أستاذ مجدى •
فخرج من الغرفة قائلا : أهلا ، حمد الله على السلامة .. متى
وصلت ؟

- من حوالى ساعة •
- وايه وقعك في هذا الرجل المخبول ؟
- من ؟ أبو دعبس ، إنه رجل طيب •
- والله ما طيب إلا انت ، إنه رجل آخر جنان ، عنده وش

فى مخه •

— إلى الآن أرى أنه عاقل جدا وحاول أن يقوم بالواجب

الاستضافنى حتى تألى •

— با أستاذ كمال • أكبر منك بيوم يعرف أكثر منك بسنة ،

وأنا موجود فى هذا الكفر منذ أكثر من سنتين •

— لكننى لا أصدر على الناس أحكاما مسبقة ، وانطباعى الأول •

— هل رأيت زينات ؟

— زينات من ؟

— زوجته •

— قصدك إيه ؟

— لو لم يكن مخبولا لما تزوجها •

— لماذا ؟

— ألم أقل أنك طيب • ؟ المهم • ادخل الآن غير ملابسك

وتعال نجلس فى الصالة •

— حاضر •

وجدته قد نصب سرى وفرد عليه المرتبة واللفاف ونظّم

الغرفة بشكل جيد ، فتحت حقيبة ملابسى ، أخذت منها بيجامة ،

فككت أزار القميص وأنا أسأل نفسى : « لماذا حاول كل منهما

أن يشوه صورة الآخر ؟ »

أمن أجل المرأة ؟ وهل لمجدى يد فى جريمة قتل الأسطى

حسين ؟ • ارتديت البيجامة وخرجت فوجدته يشعل كومة « قوالج »

فى « المنقد » الفخارى • جلست على الكنبه فالتفت إلى وقال :

.. الرجل الذى يتزوج بنتا أصغر منه بثلاثين عاما .. واحد من
اثنين : ياناقص عقل .. ياناقص دين وفى الحاليتين يستاهل كل
مايجرى له .

— قصدك أبو دعبس ؟

— طبعا .. أرأيت زوجته ؟

— رأيت فلاحه شابة .

— هى ، زينات .. أتصور أن العلاقة بينهما فيها تكافؤ .

— ممكن .

— كيف ؟ لا ، لا ، لا .

قالها بانفعال وهو يهز رأسه ، يحرك سباته بعصبية ، يستخدم
كل ملامحه فى التعبير عن رفضه . فقلت :

— يا أستاذ مجدى ، العلاقة الزوجية لا تخضع لمقياس واحد
نعرف به إن كانت متكافئة أم لا .

— يا صاحبي ، إنها تلعب بالبيضة والحجر .. آه ، آه
بانارى ..

.. زينة ، زينة زينة ، يازينة ، يازينة .

حينئذ دخلت « سعاد » المجنونة ، ابتسم لها وصاح :

— « جئت فى وقتك ياسعاد .. تعالى » .

تسمرت فى مكانها ، زمت شفيتها بغيظ وعصبية ، أطلت النظر
إليها ، كانت تحدق فى « بنظرات لا تتفق مع صفة الجنون ، حركت
شفيتها فى صمت كأنها تحدث نفسها ، قمت إلى الغرفة ، أخذت
قرشا من جيب البنطلون ، ذهبت إليها : « خذى ياسعاد » . دفعت

يدى بعنف ، ابتلت أصابعى من عرقها الغزير ، فمسحتها فى المنديل
رميت القرش فى حجرها ، بسرعة قذفته على الكنبه ، لمحت ابتسامه
على شفتى مجدى فقلت : « خذيه وقومى الله يقرفك » •

— لا تعب نفسك ، أنا مخرج عليها الا تأخذ حاجه من ضيوفى •

— هل هى ثانى ؟••

— كل يوم فى الصباح والمساء •

— كل يوم • ١٩

— نعم ، تكنس البيت ، تغسل الأطباق ، تشتري الأكل •

— ياه •• تكنس البيت معقولة •• إنما الأكل ١٠٠

— سعاد فيها شيء لله وعندما تعرفها لن تقرف منها •

— كيف لا أقرف وهى تنجس أى شيء تلمسه •• انها مصنع

ميكروبات متحرك •

— أغضبته حرام عليك •

كانت تشد شعرها بعصبية ، قامت وفى عينيها نظرة اتهام ،
صرخت بأعلى صوتها وخرجت بسرعة ، اقشعر بدنى ، وتملكتنى
الحيرة عندما قرأت على وجهه علامات الاستياء :

— إيه يامجدى •• حصل ايه ؟•

— مفروض تكون ذوق فى معاملة الناس ، ولا انت قلت :

مجنونة ؟•

— وأنا مالى ؟•

— كنت تقول لى رأيك فيها بعد ماتمشى •

— كأنها صرخت لهذا السبب ؟!•

- طبعا يا أخى •
- يظهر انك لم تفهم شيئا من نظراتها اليك • ؟
- تقصد ايه يعنى • ؟
- انت عارف قصدى وهذه ليست طريقة تحدثنى بها •
- مرت فترة من الصمت الكئيب ، أمسك سيخا ، حشره فى قلب النارجيلة ، بدأ يحركه لينظفها ، غلى الشاى وفار على المنقذ ، فى لحظة واحدة طشطشت القوالح المتأججة ثم تفحمت وبخار الماء يتصاعد بلون أزرق ويبدو أنه كان شاردا بذهنه فى أشياء بعيدة فنبهته : « الشاى يامجدى » •
- هه .. يا خير •
- دخل محمود الفرائش فألقى التحية وشد على يدى مرجبا :
- حمدالله بالسلامة .. حضرة الناظر أرسلنى اليك •
- سأرتدى ملابسى وأقوم معك •
- .. أنت ماصدقت ؟ انتظر الشاى •
- لا .. اعفى منه •

— ٤ —

- خرجت مع محمود وكان المساء يلف القرية بلمسة شاعرية ،
- أحسست باتعاش فملأت صدرى بالنسيم المعطر وقلت لنفسى :
- ملعونة المدن بهوائها القاسد •
- انحرفنا إلى شارع جانبى فقابلتنا رائحة « الفل » ، استنشقت
- بصوت مسموع وقلت : « الله » •

رفع يده إلى الفصون المدلاة على السور القصير ، قطف زهرة
وناولها لى قائلاً : انه بيت حضرة الناظر •

— ياه • فيللا جميلة والله •

دق على الباب الخشبي بقبضة يده فانطلق من الداخل نباح
كلب عجوز ، بعد لحظات ركن الى الهدوء فسمعنا من يناديه :
— تعال يا بندق •

وقال محمود : إنه مدحت ابن حضرة الناظر •

افتتح الباب وخرج طفل فى العاشرة ، استقبلنا مرحبا ، كان
يافعا أخذ عن والده أغلب ملامحه ، سرنا فى مشاية ضيقة تحت
تكمية عنب ، أوراقها كثيفة ، عناقيدها فاضجة ومحجبة عن
المصافير بأوراق الجرائد ، سعدنا خمس درجات ثم دخلنا حجرة
الصالون المضاءة بنجفة كبيرة ، جلسنا على مقاعد وثيرة تحمل
طابعا أرستقراطيا • ساد الصمت لحظات ، سمعت بعدها صوت
الناظر يتحدث مع ذويه فى الداخل ثم ضحك وأتى بوجهه
بشوش : يا أهلا •• يا أهلا • كان يرتدى جلبابا فضفاضاً وتبدو
على جفونه اتفاخة من قام لتوه من النوم ، جلس فى المقعد
المقابل ، فرك عينيه وقال :

— بشت محمود اليك بعد الظهر فلم يجداك فقلت يمكن عملت
حسابك تأتى غدا ، وبعدين لقيت جسمى همدانا فنعست •
— نوم العافية •• الحقيقة ، أنا وصلت بعد العصر •
— ويأتري السكن مناسب ؟•
— يقولون : المضطر يركب الصعب •

- لا ، إن شاء الله كل حاجة تبقى سهلة .
- استدار محمود ناحيتي ورفع يده بحركة بطيئة قائلا :
- على فكرة ، أنا لما دخلت عليكما رأيت حضرتك متغيرا .
- فعلا .. حصل بيننا حوار ساخن بسبب سعاد المجنونة .
- وما أن نطقت باسمها حتى ضحكوا وقال الناظر :
- يظهر أن مجدى لا يطبق رؤيتها لأنها اتهمته بقتل زوجها ، ثم إن دوام الأحوال من المحال ..
- مسيرك تجد سكن أفضل .
- ربنا يسهل .
- قوى .. من يدري ، أنت اليوم لا تجد غرفة ولصل الأيام تخبيء لك البيت والعروسة والأولاد . من يدري لعل القلتر جاء بك إلى هنا لأجل نصييك المقسوم .
- وتطوع الفراش مؤكدا رأى الناظر : كل شيء جائز .
- أنا مثلا .. تفربت يومين فى المنصورة فعرفت أم ملحت ..
- يعنى قصدى أقول لك إن الدنيا ..
- مساء الخير .
- انسابت هذه التحية إلى أذنى بصوت رقيق فيه بحة عذبة ، التفت فرأيتها سيدة فى منتصف العقد الرابع من عمرها ، تتمتع بقدر وافر من الصحة وتبدو عليها مسحة الحياة الرغدة ، فهمت أنها زوجة الناظر فقمت وصافحتها بشيء من الخجل محاولا أن أبدو بمظهر من يجيد فن « الاتيكيت » :
- أهلا مدام .

وقدمنى الناظر : الأستاذ كمال ، مدرس التاريخ الذى حدثك عنه .

— أهلا وسهلا .

قالتها كملكة متواضعة وجلست بجوار زوجها ثم استطردت :
— من سنة مافتحوا المدرسة الاعدادى فى الكفر وأبو ملحت هو الناظر وكل سنة يأتى مدرسون جدد ويكون هو مثل والد لهم ..
فأت لا تعتبر نفسك فى غربة وأى مشكلة تقابلك نحن هنا مثل أهلك .

— أنا شاكر جدا .

قلتها فأحسست بأنى لم أوفق فى الرد ، وتمنيت لو قلت :
— ميرسى ، ميرسى خالص .

لكننى رجعت أقول لنفسى : يجب أن أكون طبيعيا ، صحيح أنهم يعيشون فى مستوى أعلى من مستواى بكثير ولكنهم على ما يبدو متواضعون .

فى نفس اللحظة كانت تسأل الفرائش : عامل إيه يا محمود ؟
تذكرت أنها لم تحدده حين دخلت ، شمت فى ذلك رائحة تعال
ثم استبعلت هذه الفكرة لأنه أجابها من غير تكليف :
— آهى ماشية والحمد لله .

وفى غمرة الاحساس بالجو الأسرى وكرم الضيافة ، دخلت كطيف ملائكى شفاف ، ألقت التحية ، لا أذكر ماذا قالت بالضبط لكن صوتها الناعم دغدغ كل مشاعرى وخفق قلبى بشدة ، حينئذ قال الناظر بشيء من الفخر :

— ابنتى « منى » فى الثانوية العامة •

كانت بشرتها ناصعة البياض وشعرها الفاحم ينسدل على وجهها
البيضاوى فتصرخ ملامحها الرقيقة بجمال فرعونى آخاذ ، طن فى
ذاكرتى كلام أيتها ، فتمنيت أن تكون هى نصيبى المقسوم ، وضحت
صينية الشاى برفق وخرجت لكن حلما من أحلام اليقظة كان يتحرك
فى خيالى •

— • —

وجدت الباب مغلقا ومن جوانبه يخرج بصيص النور فيسطر
على تراب الشارع خطوطا رفيعة ، ترددت قبل أن أطرق الباب ، مرت
لحظات وأنا أنصت بدهشة :

— ليلتك أنس يا شيخ الغفر •

— ومن أين يأتى الأنس ، من الأفندى الذى سكتته معك لكى

• يبلغ عنا ؟

.. عندما تراه ستطمئن اليه ، انه غلبان •

— أخشى أن يكون هذا الغلبان تبع المباحث متتكرا •

— لا تخف ، أنا قرأت بطاقته وتأكدت أنه مدرس •

— ايه رأيك فى التعميرة يامى مجدى •

— عال قوى ، بس الجوزة سخنت ياحلو •

— كسبت معك قوى يامعلم بدوى •

— بلا ليلة ، أقعد ساكت •

دققت الباب فسمعت أحدهم يقول بصوت جاف :

— قم انت ياسعد افتح الباب •

قابلتني سحابة من دخان ثقيل عندما فتح الباب شاب ذو بشرة
سمراء ، وجهه مسحوب وأذناه كبيرتان ، أكمل فتح الباب وهو
يعلنهم •• الأستاذ وصل •

كانوا يتطلعون بشيء من الفضول ، ألقيت التحية فردوا بشيء من
الحماس وقاموا عن أماكنهم فصافحتهم واستدرت نحو الذي فتح
لى الباب لكنى اكتشفت أن زراعه الأيمن مبتور من أسفل الكتف
مباشرة وبسرعة مد يده اليسرى فصافحنى وعلى شفتيه ابتسامة
عريضة :

— بلدنا نورت يايبه ، أهلا وسهلا •

أشار مجدى بأصبع سبابته وقال : أعرفك بالرجال •• أولا عم
جابر شيخ الخفر ، المعلم بدوى تاجر حبوب ، سعد « أبو ودان »
سريح بالأرزاقي •
— أهلا وسهلا •

قلتها وجلست على الكنبه الى جانب مجدى واستأنفوا ما كانوا
عليه :

— هات السبعة •

— على كم هذه المرة ؟•

— ربع جنيه •

— بس هي آخر لعبة •• عليك على آخر لعبة •

— ماشي •

قدم مجدى النارجيلة الى المعلم : « تميرة ثقيلة يامعلم لسكى

تروق مزاجك » •

وضع طرف الميسم فى فمه وضم شفثيه الغليظتين ثم شفط تقسا
عميقا ونفخ سحابة دخان باهت قائلا :

— عليك نور ياسى نيلة •

وقع بصرى على شيخ الخفر ، اقشعر بدنى لوقع المفاجأة ، كان
يرمقنى بنظرة صعبة الدلالة ، نظرة نارية تنطلق من عينين مظلمتين
غائرتين كعينى القرد ، ابتسم بخبث فظهرت أسنانه الغليظة المعسوجة
تحت شاربه الأسود المنفوش وقال بصوت قبيح :

— ان شاء الله يا افندى تكون بلدنا أعجبك •

.. طبعا .. كفاية جوها النظيف وناسها الطيبين •

حول المعلم النارجيلة الى شيخ الخفر وأخرج ورقة من قنة
الخمسين قرشا ، وضعها على الطبلية : العب هذه يانيلة •

— لا ياحلو العبها على مرتين •

— يا اهل الله •

— آه أمك ياسعد •

قالها مجدى بشماعة وجرى إلى الباب ففتحه ، دخلت عجوز نحيلة
مهلهلة الثياب وقالت بصوت مرتعش :

— اتمسوا بالخير يا أولاد .. بقى ياسعيد انتظرك وأقعد من غير
عشاء فططعننى اللطعة السوداء هذه ، اخص عليك •

— بس ، بس .. أسبقينى على هناك ، امشى •

قالها بغضب وأشاح عنها وهمهم : لو كان عزرائيل يفتكرك ١٠

فقال شيخ الخفر : قم ياسعد ، حرام عليك .. روح مع أمك •

— يا بنى كفاية بقى ، شبت نوم وأنا قاعدة لوحدى •

— خلاص قلت لك اسبقينى •

قام ودفعها للخارج ومشى يؤنبها فتأثرت ولم أستطع أن أمنع
نفسى من القول : « أبهذه القسوة يعامل أمه وهى فى هذه السن؟! »

فضحك المعلم بسخرية وهز رأسه قائلاً :

— يوه • إناه اختشى منك ولم يضربها •

وقال جابر مفسراً : ولا مؤاخذه يا فندى ، أنت لاتعرف حاجة •

— لكنها أمه ، وفضل الأم ••

— أصلها سبب تعاسته لأن والده لما توفى كان صغيراً وكان
الوحيد على سبع بنات ، أبوه ترك له ميراثاً يؤمن مستقبله وكانت
هى الوصية عليه فصرفت أمواله على أزواج بناتها وأهملت تربيته
فطلع هو يامولاي كما خلقتنى وذاق المر فى صباه وكان يتطلع فى
القطارات فوقع بين قطارين وفقد ذراعه الأيمن •

— آه •• ومن هنا بدأ يكرهها ويشعر أنها ••

— بينى وبينك هى مكروهة من الجميع •

قالها مجدى مقاطعاً ثم استطرد :

— لأنها عكاكة ، توقع الناس فى بعضهم وتعمل بينهم بحر سم •

— أعوذ بالله •

— ومع ذلك عمرها مجبس •

وقال شيخ الخفر : انها تمى أيام حفر البحر ١٠

فرد عليه المعلم : طيب ايه رأيك إنها مغالطة عزرائيل فى

سنتين ١ •

.. ها .. ها .. هاى .

فى هذه اللحظة سمعنا دقات سريعة مضطربة ، وفتح مجدى الباب
فسأله شاب خائف :

— عم جابر هنا ياسى ؟

وقبل أن يكمل سؤاله لمح شيخ الخفر فاندفع اليه قائلاً بتوسل :

— الحقنى يا عم جابر يريدون تجنيدى ، انهم يبحثون عني .

هرش جابر قفاه وقال بخبث : هل شاهدك أحد وأنت قادم الى

هنا ؟

— لا .. أنا هربت قبل أن يرانى أحد .

.. هات خمسة جنيهات .

— حاضر .

قالها بانكسار وأخرج حافظة نقوده ثم ناوله ورقة خضراء فطبقتها
وأخفاها فى جيب الصديرى قائلاً : وخمسة جنيهات لمجدى أفندى .

— هه .. مجدى أفندى !

— أيوه .. وقت اللزوم ستختبئ هنا اذا جاء « البوكس » من
المركز .

ومد يده فرفع كسوة الكنبه ثم فتح جانبها واذا بها « سحارة
طويلة » .

هز الشاب رأسه بنوع من الاستسلام وقال :

— ليس معى الا ثلاثة جنيهات .

— يا حسين عيب عليك ، افت لا يقل مكسبك فى اليوم عن
عشرين جنيها صافيا .

- والله ياعم جابر أنا ..
- هات ويقتى عليك له جنيهان •
- وخطف الثلاثة جنيهاً بغيظ ثم طبقهم ورامهم فى حجر مجدى وانتفض واقفا وهو يردد :
- هيه .. تعال ياسى حسين ، تعال .. تهربوا من التجنيد وتقلوا راحتنا معكم •
- دس مجدى النقود فى جيبه وقام فأغلق الباب وهو يقول :
- لثيم قوى الولد حسين •
- فرد عليهم المعلم بدوى : لثيم على من ؟ جابر .. قطعاً سيفتشه ويأخذ مامعه •
- حينئذ لم أستطع أن أمنع نفسى من القول :
- ولماذا يهرب هذا الشاب من التجنيد ؟
- المكسب يا أستاذ ، انه يعمل فى المعمار ولا يتقل مكسبه اليومى عن عشرين جنيهاً واعتاد أن ينفقهم فى شرب المكيفات ..
- فماذا يفعل اذا دخل الجيش ؟ • وقد صار مدمناً ١٠
- أعتقد أن شيخ الخفر هو الذى ساعده على ذلك •
- يعنى شيخ الخفر كلب خشب ، انه يريد ان يعيش هو الآخر •
- ويعيش بنقود حرام ١٠٠ ؟
- ضحك الرجل ملء شذقيه كأننى قلت نكتة وأجاب :
- ياسيدنا الأفندى ليس هذا هو زمن الحرام والحلال ، أنت مثلاً : ماذا ستفعل ؟ أنت تريد أن تعيش .. قطعاً ستجبر التلامذة على الدروس الخصوصية •

- لا ، مستحيل .
- غدا سأذكرك .

— ٦ —

تقلبت فى سربرى ، فتحت عينى فرأيت الشمس قد طلقت الشباك
باطار ذهبى يشيع فى الغرفة ضوءا باهتا ، التفت الى سرير مجدى
فوجدته غارقا فى سبات عميق ، فاغرا فاه حتى برزت أسنانه
الصفراء ، وينبث شخير المزعج من فمه ومنخاره بالتناوب .

جبات العرق تلمع فى وجهه ، هرشت رأسى، فركت عينى ، نظرت
فى ساعتى ، كانت تشير الى التاسعة والربع صباحا ، قمت نافضا
الاحساس بالضول ، فتحت الباب فقابلتنى نسمة باردة ، أحسست
بالجوع يقبض أمعائى ، ترددت قليلا ثم عدت فأيقظته ، كانت عيناه
محمرتين جفونه منتفخة ، ارتكز على كوعه وتساءب ثم قال :

- صباح الخير .. الساعة كم . ؟
- تأخرنا فى النوم ، الساعة تسعة وربع .
- ياه . ! لازم أشتري العيش قبل ما يخلص .
- نهض فارتدى جلبابه ، أخذ الفوطه وخرج ، استنشقت نفسا
عميقا ولعبت بعض التمارين الرياضية .
- جاء يسألنى :
- تظفر ايه ياكمال . ؟
- أى حاجة .
- طيب ، خذ الصفيحة ، املاها واغتسل ، ماء الزير ينعشك .

— المهم انك لا تتأخر لأنى جوعان •

— حاضر •

توضأت وصليت ثم بدأت فى ترتيب الغرفة دخل حاملًا الخبز ،
كيس « طعمية » طبق فول ، جرشت حبة رمل وأنا أمضغ أول لقمة ،
رأيتہ يأكل بنهم فبلعتها ، لكن اللقمة الثانية كانت أسوأ منها ، نلت
عنى زفرة غيظ وقلت بصوت مسموع :

— أستغفر الله العظيم •

— ماذا ؟

— يا أخى العيش مخبوز على رمل ؟

تناول رغيفين وحك كل منهما فى الآخر ثم وضعهما أمامى
قائلًا :

— كل وجه الرغيف •

— حرام والله ان العيش يخبز باهمال هكذا •

— الاهمال فى كل مكان • • يعنى العيش فى مصر أحسن من هنا
أبدا •

— قد يكون أسمر ، أو خشنا ولكن ليس فيه رمل •

— السنة الماضية كنت أسعى فى الوزارة لنقلى من الجمعية ،
وبعدين دخلت مطعما فاخرا • • هناك فى الدقى • تعرف لقيت إيه
فى الرغيف ؟

— لقيت إيه • ؟

— عقب سيجارة • وطبعًا الدقى منطقة راقية •

— اذا العدم الضمير فلا فرق بين منطقة راقية وشعبية •

— بالضبط ، والطعمية ايه رأيك فيها ؟
— ساخنة وشهية جدا .. وكذلك الفول .
خيم الصمت برهة ، كنت جائعا وللطعام نكهة لذيذة ، فتبارينا
فى الأكل .

رأيتـه يبتسم وفى ملامحه بعض الشرور ، ظننتـه قد تذكر وجبة
معيـنة اهتمتـع بها فى يوم ما ..
لكنـه فاجأنى بقوله :

— أستاذ كمال .. هل لك تجارب مع البنات ؟

.. تجارب . بمعنى ايه ؟

— وأنت فى الجامعة ، ألم يكن لك علاقة حب ؟

— حصل . ! حصل انى أحبيت ، واستمرت العلاقة لمدة ثلاث
سنوات ، لكن للأسف .. عند أول محطة اكتشفت أنها كانت تخدعنى
وتسلى بى .

— لازم العريس كان « لقطة » .

— يعنى ١٠ كان جاهزا كما يقولون .

— خلاص .. ماعاد يوجد وفاء أو حب صادق .

قالها بتأثر كمن يوجه لوما لحبيبتـه واستطرد وهو يقوم :

— كل انت أفا أسرع منك فى الأكل .

مضغ لقمتـه الأخيرة ، بلعها وسكب فى حلقه كوب ماء ثم التفت
وسألنى بنبرة من يعرف الاجابة مقدما :

— أرايت منى ؟

— منى ؟ آه ابنة الناظر .

- ما رأيك فيها ؟
- من ناحية ايه ؟
- ها ، ها .. وتقول انك أحبيت ١٠٠
- وما دخل الحب هنا ؟
- الحب يجعلك ذواقة ، ويصحى جواك الاحساس بالجمال .
- رأيتهـا وهى تقدم لنا الشاى ، وكان واضحا انها جميلة .
- قل : ملكة جمال ، جنينة ورد بلدى .. ياسلام .
- قال الكلمة الأخيرة بنبرة طويلة حاملة وأغمض عينيه كأنه يحتضن صورتهـا بين جفونه ، ثم قال بشئ من المجاملة :
- ليتها تكون لك .
- وأنت ؟
- أنا ؟ بالنسبة لها صعلوك ، ايه يعنى كاتب فى جمعية زراعية ، أى شئ آكون جنب « منى » ، كفاية انها بنت مرسى المنشاوى .
- افت بهذا جعلتنى أحس أنها اكبر من طموحى فعلا .
- لا ، بس الت خليها فى دماغك .

— ٧ —

أدرت المفتاح فى الباب ولم يفتح ، عرفت أنه مغلق من الداخل،
دقته بكفى ثم كررت ذلك ، مرت بضع دقائق وأنا أنتظر دون
جدوى ، فأعدت دق الباب ، سمعته يرد بنقرة :
« طيب .. طيب » . بعد لحظات جاء يسأل بنبرة تنم عن

القلق :

— من ٢٠

— أنا كمال .

فتح وهو يتكلف الابتسام وقال : لقد ظننتك جابر شيخ
الخفر .

كان مرتبكا الى حد ما ، لاحظت ذلك فى ملامحه والطريقة التى
يتحدث بها . ثم لمحت فى الداخل امرأة ، تغسل الأطباق وهى
جالسة القرفصاء ، رأيتها من ظهرها ، لكنى عرفتھا وسارع هو
فقال :

— مادمت تقرف من سعاد المجنونة تبقى الصحون يغسلها العاقلون
دخلت الغرفة وكلماته عنها تطن فى ذاكرتى ، ابعثت فى مخيلتى
صور شيطانية فاستغفرت وقلت لنفسى :

— « ان بعض الظن اثم » . واستأنف كلامه عن سعاد قائلا :

— « غريبة أنها تختفى هكذا .. تصدق أنها أول مرة عملها .. »

الخوف أنها تكون عملت فى نفسها حاجة ، ترمى نفسها تحت
القطار أو فى البحر .

توقف عن الحديث موجها الى نظرة ثاقبة وسألنى :

— مالك يا كمال ، سرحان فى إيه ؟

— هه ، لا أبدا .

فى هذه اللحظة وقع بصرى على شعرة سوداء طويلة جدا ، رأيتها
على وسادتى فتأكدت أن ظنونى فى محلها ، غلى الدم فى عروقى
ويبدو أن ملامحى كانت تكشف له عن أعماقى الثائرة فنادى

عليها :

- بنت يا أم دعبس ، تعالى لكى تسلمى على بلدياتك •
- ياه : بقى هو كمال أفندى ليس من مصر •
- قالتا بميوعة فرد عليها : أنه بلدياتك •• من بنها ، تعالى •
- وغمز لى وهو يتسم بخبث •

فتملكنى الغيظ وقلت فى نفسى :

- يا ابن الملعونة •• على طول عملتنى بلدياتها •

دخلت تتصنع الحياء وقالت بشيء من التبجح :

- الا انت صحيح من بنها ؟•

— اتنى من بنها ؟•

— أى نعم •

- طيب ياحلوة ، لا تنسين شعرك على السرير مرة ثانية ، أحسن

عيب •• عيب خالص •

أعطيتها الشعرة واحساس بالقرف يملؤنى فاحتقن وجهها بالدم

ودارت خجلها قائلة :

- من شعرى أنا •• ا

ورد الذئب مهونا : يا أخى أصلها كانت تنفض الفرش •

— والله يا سيدى أنا لم أطلب من أحد أن ينفض لى •

— على العموم ، أنا الذى طلبت منها •• لم أكن أعرف أنك

« إقف » الى هذه الدرجة •

قالها بشيء من الدهاء محاولا تهدئة الموقف ، بينما انسحبت هى

فى صمت لتكمل غسل الأطباق ، اقترب منى وقال بصوت منخفض

مغلف بثوب النصيحة :

أهكذا تكسفها بدلا من أن تشكرها ، انك لا تعرفها .. انها
طيبة وبكلمة حلوة نكسبها .. نحن فى احتياج ..
- تكلم عن نفسك .

- نعم أنا فى احتياج اليها ، بل أحبها وهى أيضا تحبني ، لكنها
ليست ساذجة كما تتصور ، هى تعرف أن زوجها على حافة الموت
وان سلمت نفسها لى فلن أرغب فى الزواج منها بعد ذلك .. فهمت
هى ليست عيطة .

وظل يرص كلاما كثيرا لم أسمعه لأنى كنت فى دوامة : هل
أثور عليه وأحذره من تكرار هذا البغاء ؟ بامكانه أن يطردنى
فأين أذهب ؟ لكنه يخلعنى ويستغفلنى .. لا يجب أن أتستر
عليهما .. قد تكون فضيحة « تنبئت على صوته ينادينى لتناول
الغداء ، كان يضع اللسان الأخيرة للأطباق المتنوعة » . رفع
ناظريه الى وهو يصفق على طريقة أعياد الميلاد قائلا :

- حته أكلة بقى .. تأكل أصابعك وراءها .

- كل انت ، أنا عندى مشوار .

-- طيب تأكل وبعدين تروح مشوارك .

- لا ، أنا خارج وكل انت .

- تعال والأكل ساخن ، يا أستاذ كمال ، خذ . اسمع ، تعال

بس ..

- ٨ -

على ناحية الشارع رأيت دعبس يلعب مع رفاقه ، ناديت به

وسألته عن أييه فقال : راح لعمتى فى مصر جذبتنى نبضات سريعة منتظمة تنبعث من صهرج المياه : « طق ، طق ، طق » وأصوات النسوة تمتزج بخير الماء وصوت ارتطامه بقيعان الفناطيس « تحسرت على الأرض السمراء التى تفقد عذريتها وتستغيث من الطوب الأحمر والأسمنت وأكوام الزلط والرمل فترمى كل خصوبتها فى « كدية » حشيش وعود سيسبان وشجرة خروج • مشيت على الطريق الترابى الممتد الى خارج القرية ، كان الجو خريفيا جميلا ، سرت تحت أشجار الصفصاف الظليلة ، الحقول على يمينى والترعة الصغيرة والطريق الزراعى على يسارى والفلاحون قد ركنوا الى الراحة ، منهم من أسند ظهره الى جذع شجرة وجلس ينظر بارتياح للماء المتدفق يروى ظمأ زرعته ومن تمدد على الأرض وراح يغط فى سبات عميق نافخا صدره بكل اطمئنان ، ومن جمع حوله أسرته كبيرة العدد لتناول طعام الغداء بنوع من الألفة لا مثيل له • عبرت الترعة الصغيرة الى الطريق الزراعى والسكة الحديد ثم الى الترعة الكبيرة متجها صوب عيون « أبو الأخضر » • كانت البوابات عالية والماء يقفز من فوقها ويتساقط بشدة فيكتسب لونا ثلجيا ويصدر بصوت يشبه ارتطام الأمواج • اخترت مكانا فى ظل شجرة كافور ، فردت مندبلى على الأرض ، لمحت شيئا « غائما » يتكور ، كانت نائمة ثم اعتدلت وأخرجت شيئا من صدرها يشبه المنديل ، ذهبت اليها ، سمعتها تحدث نفسها بصوت مسموع ، رأيت فى يدها صورة صغيرة تنظر اليها وتكلمها ، سألتها : « صورة من هذه ياسعاد » ؟ أخذتها المفاجأة ، حيلت فى طويلا زاغت ببصرها

بميدا ثم وقت تنظر فيها يجنون : حسن يا حبيبي ، حسن ، يا حسن ،
رد على يا حبيبي ..

— أرني هذه الصورة .

— لا .

قالت بصوت مرتفع يشوبه الفزع ولقتها بسرعة في خرقة من
القماش ثم وضعتها في صدرها ، تقلمت منها قائلا :

— خائفة مني ياسعاد . ١٩

تراجعت وانطلقت تعدو بشيء من الهلع ، جلست أفكر في أمرها
بشيء من الأسى : « مسكينة تعيش في عالمها الصغير ولا أحد يشعر
بأساتها » .

— غريبة أنك هنا يا أستاذ كمال .

التفت فوجده صلاح مدرس الرياضيات ، كان يركب حماراً قوي
البنياض ، يرتدى جلباباً ناصع البياض ، على عينيه النظارة المميكة ،
وفي يده شمسية خضراء ، نزل عن مطيته ، فقمت إليه : « أهلاً »
« أستاذ صلاح » . صافعني بحرارة وقال وهو يتسم : « يظهر
أنك شاعر ونحن لا نعرف » .

— لا ، أبداً .. المناظر هنا خلابة فعلاً ، لكنني كنت أفكر في هذه
الفتاة البائسة .

— سعاد .. رأيتها عن بعد وهي تحدثك ويظهر أن كلامك لم
يمعجبها .

— أعتقد أنها أصبحت لا تثق في أحد .

— الحقيقة .. هي صعبانة علينا ، لكن نعمل إيه .. العين بصيرة

واليد قصيرة •

لا نملك أن نفعل لها شيئا ••

— لماذا ؟•

— كل واحد يريد أن يعيش •• أنا مثلاً ورأى أخوتى الأصغر
منى وزوجتى وطفلتى أريد أن أريهم وأعلمهم وليس عندي استعداد
لتكوين عداوات •

— طيب وهذه المسكينة •• دم زوجها يروح هدرا !•

— يا أستاذ كمال المفروض أن البلد فيها حكومة وقانون وإذا
فشل المسئولون عن تطبيق القانون فهذه قضيتهم و •••
— لا يا أخ صلاح أنا لست معك في هذا •• لعن الله قوما ضاع
الحق بينهم •

-- وهل هناك لعنة أكثر من أن يأكل الناس بعضهم مثل السمك
•• هيا بنا •

— الى أين • ؟

— الى البيت ، ألا تحب أن تعرف بيتي ؟•

— يسرني أن أعرفه •

— اذن هيا بنا •

ركبت خلفه وانطلق بنا الحمار نحو القرية ، بينما استطرده
صلاح :

— نصيحتي لك يا كمال •• لكى تعيش هنا ، خليك فى حالك ••
ولا لك دعوة بحد ولا محتد •• أنا نفسى متبع هذا الأسلوب •

— طيب •

قلتها وأنا شارد مع أفكارى ، لكنه واصل حديثه فسألنى :
— أنا دريت أنك سكنت مع مجدى كاتب الجمعية ...

صحيح • ؟

— نعم ، هل تعرفه ؟

— أقدر أقول لك انى كنت أول واحد يصاحبه هنا فى البلد •

— كنت ؟ • يعنى علاقتك به لم تستمر لليوم ؟

— تقريبا .. وهذا يرجع الى أنه « خلنجى » ولا تهمة الا

مصلحته •

— أنت طبعا عارف أنه كان متهما أو ولحدا من المتهمين يقتل

زوج سعاد .. فايه رأيك • ؟

— مجدى كان مظلوما .. هو صحيح أهوج ومراهق فى بعض

تصرفاته انما ليس من النوع الذى يقتل •

— طيب اذا كان بريئا فلماذا اتهمته سعاد ؟

واحدة فى مثل حالتها كانت تتصرف بطريقة عشوائية وبديهي

أن شكوكها لم تكن فى محلها •

مرت لحظات من الصمت وأنا أفكر فى كلامه وأشعر باطمئنان •

وقد بدأت صورة مجدى تتحسن فى ذهنى •

— ٩ —

طبقت الفوطه قائلا : سفرة دائمة يا أستاذ صلاح •

— لا ، انت يظهر ان الأكل لم يجبك •

— الأكل جميل جدا والحمد لله •

• طيب ياسيدى • • بالهاء والشفاء • • تستطيع أن تغسل يديك
على الحنفية الموجودة خارج الغرفة •

كانت عبارة عن برميل كبير فى أسفل حنفية من النحاس الأصفر،
موضوع على منضدة خشبية وبجانبه قطعة من الصابون المعطر ،
تحت الحنفية صفيحة فارغة وعلى الحائط شماعة بها فوطة زاهية
الألوان ، كان الشاى جاهزا فشربناه وطلبت منه أن نذهب الى
النادى الذى حدثنى عنه أثناء تناول الغداء ، فنظر فى ساعته وقال :

— نعم • • الوقت مناسب ، هيا بنا •
مشينا فى الحواري القذرة والأزقة الرطبة ، معظم البيوت واطئة
طينية دون طلاء ، أكوام الحطب تطل على الجانبين من فوق الأسطح
وتدلى فوق رؤوسنا •
وصلنا الى الجانب الشرقى من القرية ، فظهرت لافتة بيضاء
مكتوب عليها بخط أسود :

« نادى شباب كفر الغنيمي » •

اللافتة مثبتة أعلى باب قديم يحمل بقايا طلاء أخضر ، الباب
مفتوح على مصراعيه ، كانا يلعبان الطاولة ، التفتنا لحظة دخولنا ،
اتجهنا اليهما كأن موعدا يربط بيننا :

— « مساء الخير • • أقدم لكما الصديق كمال توفيق • • مدرس
تاريخ » ، وأشار الى أكبرهما سنا : الأستاذ محسن • • فنور جميلة
• • وهذا فيلسوفنا الأستاذ عامر ، ليسانس حقوق تبادلنا كلمات
الترحيب وجلسنا نتابع رمى الزهر وحركة القواشيط :
— شيش ، شيش • • بالسلامة •

- دورجى ، أهلا ، أهلا •
- جهاز ، سيه •
- لعبة جميلة •• الله ، الله •
- جهاز ، دو •• طيب •• الجهاز ممسوكة •
- بانج ، سيه •• تمام ، ياسلام •
- يا ولد •• على الدوسة الجميلة •
- اطلع •• هبيك •• اطلع •
- يعنى السيد عطوة تأخر يا أبا الصلح • 1
- قالها محسن وهو يضرب القشاط فى خشب الطاولة بعنف •
- يمكن ربنا فتح عليه بقصيدة جديدة •
- وتلاقيه نازل نحت فى قوافيها بيديه وأسنانه •
- دوبارة •• فك وارحل يا حبيبي •
- طيب ، اثنان باثنين •• العب •
- شيش ، بيش •• ياسلام •
- ليتنا افكرنا حاجة حلوة •
- استدار صلاح الى قائلا : هذا •• شاعرنا السيد عطوة •
- كان شابا يافعا ذا وجه شاحب ، يرتدى بنطلونا رماديا وقميصا
- باهتا لا لون له ، ويضع تحت ابطة مفكرة كبيرة ذات غلاف أحمر •
- دخل يهز رأسه ويصفر بأسنانه البارزة قليلا :
- يامساء الفل والريحان •
- مد يده يصفاحنا جميعا ثم سحب كرسيه وجلس وهو يفتح
- المفكرة قائلا :

— فى جمعتى اليوم أكثر من قصيدة ، اسمعوا .. هذه قصيدة بعنوان « لحظة يأس » .

— ياساتر .. اكفنا الشر يارب .

قالها عامر طالب الحقوق بنبرة ساخرة وكانت ملامحه تثير الضحك خاصة وأن لحيته الطويلة لا تتفق مع طابع المرح الواضح فى بريق عينيه وابتسامته العريضة .

— لا .. أرجوكم ، اسمعوا أولاً .

قالها باهتمام وجعل يقرأ شعره المكسور :

تقلصت رعدا وبقا وامتلات بالغيوم السوداء

وانفجر السحاب أمطارا تبذرها الرياح الهوجاء

وأقبل الليل كئيبا يتلصص بخبث ودهاء

واشتدت العواصف والبرد يلحس أجسام الضعفاء

— بس .. كفاية وأوأة !

كان عامر يمسك دماغه كأن صداعا يؤله ، ورد محسن بنبرة خطائية :

— الليل ، السحاب ، الرياح .. آيه ، أمرؤ القيس انت ؟!

فكان يبدو كمن يترأس مظاهرة ، خاصة وأنه بارز فى المجموعة كلها بقميص مشجر ذى لون صارخ . نظر لهما بشئ من الحيرة وفى ملامحه مزيج من الغضب والخجل ، لكنه قبل أن ينطق بكلمة قال له عامر :

— يارجل يامفتري .. أهذه كلها لحظة .. قال آيه : لحظة

يأس .. !

قال العبارة الأخيرة وهو ينظر إلينا متعجباً ثم التفت إلى سيد
عطوة مؤنباً : وجعت لنا دماغنا والأسبرين غال •

— أهكذا يا عامر ١٠٠

— حرام عليك يا رجل •• دماغنا متكلفة •

نظر إلى بشيء من الأمل فى انصافه وسألنى :

— مارأيك يا أستاذ ؟ •

— الحقيقة ، أنا لست ناقدًا •

— لكنك مثقف ول لازم لك رأى •

— من خلال قراءاتى أعتقد أنه شعر مكسور ولم تحسن اختيار

موضوع القصيدة •

— ينصر دينك يا أستاذ كمال •

قالها عامر باهتمام كالأنى قلت شيئاً خطيراً وأيده محسن :

— ياسلام ، شوف •• شوف الناس التى تفهم •

ولكنى أعتقد أيضاً أنها بداية جيدة للشاعر سيد عطوة •

— طيب •• اسمعوا قصيدة أخرى •

قلب صفحات المفكرة بسرعة واستأنف :

— اسمعوا •• هذه قصيدة بعنوان « التاريخ عندما يعيد

نفسه » •

— بس •• أول القصيدة كفر •

— طيب ، والله العظيم •• لن أقرأها •• لكى تنبسط يا عامر ••

وأنا عارف ان هذه غيرة وحقد لأنك تعجز عن كتابة بيت واحد من

الشعر •

- ها ، ها .. يارجل حرام عليك ، أتسمى ماتكتبه شعرا •
- يا جماعة ، اشهدوا عليه لأنى بعد ذلك سأضربه •
- تضربنى يا ها • هاها • ارم الزهر يا محسن • • نلعب
- أحسن مادام فيها من ضرب •
- أقرأ لنا القصيدة يا عطوة •
- لا يا صلاح ، أنا خلاص حلفت •
- تعرف يا عطوة ، ان الأخ عامر معه حق •
- يا أستاذ كمال ، أنا لم أقرأ القصيدة بعد •
- ألم تقل : التاريخ يعيد نفسه • ؟
- هذا عنوان القصيدة فقط • •
- ولكنه خطأ • • لأن التشابه بين بعض الأحداث لا يعنى أن
- التاريخ يعيد نفسه وهذا المفهوم الرجعى المتشائم لا يناسب هذا
- العصر لأن عجلة التاريخ لا تسير الى الخلف •
- لكنى أذكر أنى قرأت ذلك •
- نعم • • كانت نظرية قديمة ، لكن لو أنك قرأت لمفكر مثل
- أرنولد توينبى •
- توينبى ؟ •
- نعم ، انه مؤرخ وفيلسوف بريطانى معاصر •
- وماذا قال عن التاريخ ؟ •
- قال : ان التاريخ يسير فى دوائر تدور حول نفسها بطريقة
- حلزونية •
- وماذا يعنى بهذه الدوائر ؟ •

— انه يرى أن لكل حضارة بداية ثم اكتمالا ثم نهاية وكثيرا ما تكون نهاية حضارة ميلادا لحضارة جديدة أكثر تقدما منها .

— ١٠ —

فرشت الجريدة على الطبلية وجلست أحضر حصص اليوم التالى بينما انشغل مجدى فى تنظيف النارجيلة ثم أشعل وابور الجاز ووضع فوقه غلاية الشاى ، قام فأحضر الكوتشينة التى اتهمك فى تفنيط أوراقها مرددا وهو يهز رأسه بنوع من النشوى : زينة ، زينة ، زينة ، يازينة يازينة .

وضع الكوتشينة جانبا وقال : بعد ماتخلص كتابة ، نلعب لنا عشرة .

— الحق الشاى فار .

سارع باطفاء الوابور وبدأ يصب الشاى ثم أخذ رشفة وقال :

— الله ، شوية شاى .. انما ايه .. عجب ..

لم يكد ينتهى من كلمته حتى دق الباب ولما فتحه دخل شاب طويل القامة ، يرتدى جلبابا لالون له ، فى وجهه بعض الكدمات وفى جبينه ندبة غائرة ، اندفع نحو الكنبه وهو يلهث مرددا بشيء من الهلع : خبئنى ، خبئنى .

فتح جانب الكنبه التى هى فى الحقيقة سحارة طويلة ونعام بداخلها .

فسأله مجدى : أين كنت ياولد يانسر ؟

— فى البيت .

— أهى الكبسة ؟

- نعم ، لكنى قفزت من فوق الأسطح ونزلت فى الحارة •
- ألم يرك أحد ؟
- لا ، اطمئن •
- أنا ، عارف انك ستضيعنى معك يانسر •
- لا تخف يامى مجدى •
- ولم لم تذهب الى بيت جابر أو المعلم بدوى ؟
- هنا أمان •
- يعنى ناس تأكل البلح وناس تحدف بالنوى ؟
- فى هذه اللحظة سمعنا دقات على الباب ، خفق قلبى بشدة وبدأت الحيرة والقلق على ملامح مجدى الذى تلفت بارتباك مثل فمر فى قصص • ماله نحوى وقال محذرا وأصبع سبابته على فمه :
- اسمع ، لا أحد هنا •
- كان الطرق سريعا قويا ، وقف مجدى خلف الباب وقال بشيء من الخوف :
- من بالباب ؟
- فرد عليه المعلم بدوى بنوع من الضيق : افتح يا فيلة •
- أدخل يا أخى نشفت دمى •
- كان مضطربا ، ينفخ بفيظ ويشيح بيده فى الهواء مرددا :
- هذه مصيبة ، كارثة •
- مالك يابدوى ، حصل ايه ؟
- النسر ، النسر وقع •
- من الذى قال لك ؟

— رأيت « البوكس » بنفسى ، أخذوه ..

— ولد يانسر •

— أيوه ياسى مجدى •

قالها النسر من داخل السحارة فتهلل وجه المعلم بدوى وسارع
بفتح جانب الكنبه السحارة : اطلع يانيلا ••

قهقهه النسر فى سعادة كأنه لم يكن طريد البوليس منذ لحظات ،
وقف يصفق بيديه ويهتز مترنحا مثل السكير ثم قال :

— افرض يامعلم النسر وقع بصحيح •• تعمل ايه ؟•

— اسكت يانسر ، أنا بيتى كان زمانه خرب •• طول ما العملية

الكبيرة ••

سكت وهو يرمى بنظرات الشك والتوجس فرد عليه مجدى :

— هو من يامعلم ، النسر ابن حرام ، عمره مايقع •

وفى هذه اللحظة دق الباب ثائية فتملكهم الفزع وانطلق النسر

الى مخبئه مثل الأرنب ثم قال مجدى بصوت جاف : من ، من

بالباب ؟•

— أنا جابر ياسى مجدى •

— معك من ؟•

— افتح ، أنا وحدى •

وقبل أن يخطو بقدمه سأل : « النسر هنا ؟• » وجاء الرد بصوته

من باطن الكنبه : أتريدنى ياعم جابر ؟•

— تعال يا ابن ال ... أنا الذى أنقذتك الليلة ، لو لم أضلل

القوة لكنت الآن مكلبشا بالحديد •

— أنا أول ما لمحتهم داخلين الشارع ، أخذتها قزح من فوق
الأسطح ونزلت فى الحارة •

— براوة عليك يا ولد يانسر •

— كانت تبقى مصيبة لو النسر وقع والعملية ماتت •

— الليلة تقطعوا عرقا وتسيحوا دما •

— يبقى أنت يا جابر تفهم النسر بالخطه كلها •

— ليس الآن •

قالها وهو يغمز بعينه اليسرى ويومئ برأسه مشيراً الى ، فلما
لحظ أننى رأيته ابتسم وقال بنبرة خبث :

— أهلا يا أفندى ، انت منور بلدنا •

— شكرا •

— ياللا ياسى مجدى ، وضب لنا القعدة ، هات الكوتشينة ،

تعال يا أفندى ، تعال ، أنا أريد أن ألعب معك •

— لا ، أنا لا ألعب الكوتشينة •

— لماذا • ألسن رجلا ولا مؤاخذه •؟

— وما دخل الرجولة بالكوتشينة •؟

— الرجل لا يخشى الهزيمة •

— أنا ألاعبك يا جابر ، الأستاذ كمال ليس له فى الكوتشينة •

— كيف • ؟ لا ، سيلعب ، وأنا نفسى أجرب لعب الأفندية •

— انه لا يعرف •

— عن اذلكم ، أريد أن أنام ،

ارتست على شفتى جابر ابتسامة باهتة ولمع فى عينيه الفأترتين

بريق مخيف وقال بارتياح :

— أهكذا ؟ • خلاص • • سماح النوبة ، وأحلاما سعيدة •

— ١١ —

اشترت حاجياتى من سوق القرية أو « السويقة » كما يسمونه ،
وهو مجموعة من بائعات الخضر والفاكهة يجلسن على الأرض بجوار
سور جامع سيدى الغنى •

ذهبت الى البيت ، فغيرت ملابسى وبدأت فى اعداد طعام الغداء ،
بينما كنت منهمكا فى تقشير البطاطس ، دخل مجدى فقال
باستغراب :

— يظهر انك طباخ ممتاز •

— للضرورة أحكام يا صاحبى •

— سأغير ملابسى لكى أساعدك •

ومن داخل الغرفة قال : يا أخى • • البنت سعاد اختفت مرة
واحدة •

— أنا على فكرة ، نسيت أقول لك انى رأيتها بالأمس •

— رأيتها • أين • ؟

— على شط الترعة الكبيرة ، عند عيون « أبو الأخضر » •

— ألم تقل انك كنت مدعوا للغداء عند الأستاذ صلاح •

— هه • • نعم ، نعم • • لم يكن الوقت قد حان فتمشيت الى

العيون ورأيته هناك •

— حاجة غريبة • • ماذا كانت تفعل هناك ؟ ألم تحدثها ؟ •

— لا • • لكن ما هو سر اهتمامك بها هكذا ؟ •

— ألا ترى أنها تستحق الشفقة والمطف ١٠٠

— يجوز .. لكنك تهتم بها أكثر مما يجب .
سكت برهة ثم خرج وهو يكمل ارتداء الجلباب :

— قلت لك من قبل .. سعاد فيها شيء لله .

قالها وجلس يشعل الوابور ، لكنني لم أقتنع :

— أنا سمعت أنها اتهمتك بقتل زوجها .

— آه .. حصل .

قالها وهو يفكر مقطبا ما بين حاجبيه واستأنف :

— لكنها لم تهمني وحدي .. اتهمت كل أصدقاء زوجها .. وأنا

واحد منهم .

— وايه الدافع وراء اتهامها لك ؟

— أصل الحكاية ان البلد كانت فيها راقصة اسمها « سندس »

.. وكنت أنا والأسطى حسن زوج سعاد نسهر عندها .. وطبعاً

سعاد حاولت أن تمنع زوجها من الذهاب معي ففشلت وأحست أنني

السبب فكرهتني .. وهذا ماجعلها تهمني .

— واضح أن علاقتك بزوج سعاد كانت قوية جداً .

— الأسطى حسن .. ونعم الصديق ، كان رجلاً بمعنى الكلمة .

— لو أن سعاد اتهمتك بسبب الكراهية يبقى كان من باب أولى

أنها تهتم « سندس » !

— لا .. لأنها تركت البلد قبل موت الأسطى حسن .

خيم الصمت لحظات ، الشغل هو قى تقليب البطاطس ، وبدأت

فى تقطيع الطماطم لعمل السلطة ولكنني كنت أسترجع كلامه وأفكر

كثيرا فى قوله : سعاد فيها شئء لله • ثم سألته :
— مجدى •• هل تعتقد أن الأشخاص الذين اتهمتهم سعاد
كلهم أبرياء • ؟

— تحريات البوليس وتحقيقات النيابة أثبتت ذلك •

— لا •• أنا أسألك عن رأيك الشخصى •

— رأى • ؟ نعم كلهم أبرياء •

— لا ، أنت لا تقول الحقيقة •

— لماذا • ؟

— لأنك اعترفت ضمينا بجزء من الحقيقة •

— كيف • ؟؟

— ألم تقل عن سعاد : « فيها شئء لله » • ؟

— نعم •

— ومعنى ذلك أن الله قد وفقها فى معرفة الجانى وكان واحدا

من المتهمين وبالتالي فأنت تعرفه بحكم الصداقة التى كانت تربطك
بالأسطى حسن •

التفت الى وعلى شفثيه ابتسامة وقال :

— هل كنت وكيل نيابة قبل ذلك •

— أرجوك يا مجدى ، قل لى الحقيقة •

— وايه الفائدة • ؟

— لكى أستريح •

— الحقيقة مرة ياكمال ١٠٠

قالها بأسى والدمع يبرق فى عينيه واستطرد :

- سعاد اتهمت شخصا واحدا وبقدرة قادر تحول الى خمسة لتضليل العدالة وكنت واحدا منهم •
- كيف حدث هذا • ١٩
- لا أعرف • كان كل هوى هو الدفاع عن تقصى •
- اذن فانت تعرف القاتل •• ١
- عرفته بعد ذلك ولم أكن أستطيع تغيير أقوالى •
- ومن هو القاتل • ٢٠
- من الخير لك ألا تعرفه •

— ١٢ —

- كتبت خطابا لأخى أطمئنه فيه على صحتى وحياتى الجديدة فى « كهر النيمى » •
- وسألت مجدى : ما اسم هذا الشارع • ٢٠
- هنا •• الشوارع ليس لها أسماء •• أكتب العنوان على المدرسة أضمن •
- وهو كذلك •• هه ، أخى العزيز : يمكنك مراسلتى على ••
- انظر •• أبو دعيس جاء ومعه ايه • ٢٠ يا أبا دعيس ، خذ ••
- تعال •
- نعم ياسى مجدى •• السلام أولا •
- كان يرتدى جلبابا جديدا ، على وجهه غبار السفر ، يعلق فى كوعه الأيسر سلة فارغة ويمسك سلسلة مربوط فيها كلب صغير أبيض ، تتدلى أذناه على جانبى رأسه ، سأله مجدى بشئ من الخبث والرغبة فى المزاح :

- الله ١٠٠ ما هذا ؟ ذكر ولا أنثى ؟
- أنثى . وهادئة بشكل غريب ، وضعتها فى السلة وغطيتها بورقة جريدة فلم تتحرك من مصر لحد هنا .
- أبوه ياعم ، لكى تاتى لك بذرية صالحة !
- أنهزأ بى ١٩٠٠
- لا صحيح .. أنت ممكن تكسب من خلقتها .
- وبعدين معك بقى ياسى مجدى .
- يا أخى الرجل غير مصدق .
- ولا مؤاخذه يا كمال أفندى .. صاحبك أخذنى فى «دوكة» ..
- كيف حالك ؟
- الحمد لله .
- يعنى من ساعة ما كنا مع بعض لم تسأل !
- لا ، أنا سألت عنك أمس وعرفت أنك فى مصر
- سألت عليك العافية ، والنبي انت ذوق يا كمال أفندى .
- ياراجل كفاية بولتيكا !
- أبدا والله ياسى مجدى .. الأستاذ كمال ابن أصول بجد .
- الله يكرمك ياعم أبى دعيس .
- ابن شاء الله تشرفنا الليلة ، فيه موضوع بودى أكلملك بخصوصه .
- حاضر .
- يحضر لك الخير .
- اسمع يا أبأ دعيس ، خلىنا فى الجد ، البيضاء .. أسميتها

ايه ٢٠

— والنبي انت فائق ورائق .. السلام عليكم •
قالها وهو يشيح يديه واستدار خارجا ، لكنه تذكر شيئا
فرجع •

يسأل مجدى : ألا ، قل لى .. اتم صرفتوا الكيماوى ١٠
— بدأنا فى صرفه اليوم فقط •

— وسمر القطن الجديد ، ظهر ٢٠
— أتريدون أن تنهبوا ٢٠ ألا يكفيكم أن الحكومة أعفتكم من
نصف تكاليف مقاومة الدودة ٢٠

ثم التفت الى وقال : « الغريبة يا أخى ان الفلاح منهم يريد أن
ينام فى الظل والجمعية تحلب الأرض وتمطيه » •

— نحن الخير والبركة على كل حال •
— ياشيخ بركة ايه ٢٠ .. البركة من الله •
— طيب على كيفك ياسى مجدى •

وخرج لا بلوى على شىء فقال مجدى بصوت خفيض :

— رجل خانكة .. الله يكون فى عونته ١٠٠

— أبو دعبس طيب وعلى نياته •

— ابن ال .. ايه عنده حنة غزال ١٠

— وانت مالك ومالها .. خليك فى حالك وابق الله ..

— اسكت ياكمال ، اسكت ، أنا تحطمت فى هذا الكفر ، آمالى

تبخرت وأحلامي تقلت عنى •

أشعر أننى أصبحت كهلا فى الستين أو السبعين •

— أنت أصلا من أين ؟

— من سوهاج •

— ياه ١٠ وماذا جاء بك الى هنا ؟

— حسب رغبتى •

— لماذا ؟

— بسبب عادة الثأر •• عندنا فى الصعيد ، اذا واحد غلط ••

كل أفراد العائلة يتحملون غلطته ويميشون مهددين ، جئت الى هنا منذ سنتين أبحث عن الأمان وأحلم بينت الحلال والعش الهادى ، لكن للأسف ١٠ الناس ليس لهم شغله الا ترويع الشائعات والحديث بالسوء فى أمور لا تعنيهم ، وهكذا كلما تقدمت لخطبة فتاة ، أهلها يرفضوننى •• بسبب هذه الشائعات تحولت الى رجل سىء السمعة • وهكذا تحطمت وانهارت أحلامى •

— لكننى أعرف أن أهل الصعيد يتزوجون فى سن مبكرة ؟

— آه ، حصل •

قالها وتنهى بشىء من الأسى وأكمل : فى الصعيد تزوجت مرتين •

— ياخبر مرتين ١٢٠

— نعم ، كانت الأولى ابنة عمى ، أرغموها على الزواج منى وهى

كانت تحب شخصا آخر فلم يحدث وفاق وطلقتها بعد شهرين ••

والثانية ماتت بالسل •

— أكفنا الشر يارب •

— وطبعا من الصعب على رجل تزوج مرتين أن يصوم أو ينفض

عينيه أمام الأنوثة والجمال •

— هل نسيت أن الله نهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ؟
 — أرجو أن تحتفظ بنقائك حتى النهاية ، أما أنا فلست ملاكا .
 — ان أحدا لم يطلب منك أن تكون ملاكا ، والله اختار الأبياء
 والرسل من البشر لكى لا تقول ذلك .
 — احتفظ بكلامك لنفسك .

— أنت بتصرفاتك هذه تسيء الى سمعتى .
 — اف ، هذه هى حياتى ، عاجبك تعاشرنى عاجبك .. كمال ،
 كمال .. خذ ، تعال . انت زعلت ؟
 — أنت مستحيل تكون من الصعيد ا . أين شهامة ونخوة
 الصاعدة ؟

— حقتك على .
 — لازم تعرف ان كل حرية لها قيد ، فانت حر فيما تفعل ، لكن
 من حتى أن أمنحك من الاساءة الى سمعتى .
 — غضب عنى ، اعذرنى ، لا تدري مدى ما آكته لك من احترام
 ونفسى أبقي نظيفا مثلك ، لكن لا أعرف كيف ، فيه صوت جواى
 يصرخ ويقول : « كفاية عربلة ، كفاية ضلال ، لكنى لا أعرف ..
 صدقتى ، الشيطان جالس ومربع جواى » .
 — لا يامجدى ، الشيطان هو جابر وشلته ، ابعد عنهم .
 — أووه ، حاولت كثيرا .. كثيرا .
 — حاول ثانيا وثالثا .

— صدقتى ، مع هؤلاء ، ليس لك خيار ، ان لم تكن صديقهم
 فأنت عدوهم .. أنا أعرفهم جيدا لو أصبحت عدوهم قلن يهدأ لهم

بال الا اذا تخلصوا منى ، أبقى هربانا من دم واقع فى دم • ١٨

— لم أقل هذا ، انما أتركهم ولا تتعاون معهم •

— عارف لماذا أنا سكنتك معى ؟ • لأنك ستحمينى منهم •

— أنا • ٢٠

— قبل ذلك كنت وحدى أما الآن فعليهم أن يفكروا مائة مرة

قبل أيذاءى •

— أنت خائف منهم للدرجة الرعب •

— من خاف سلم ياكمال ، صدقنى أنا •

— ١٣ —

كان الباب مواربا ، طرقت وناديت : يادعيس •

— تفضل يا كمال أفندى •

سمعت صوته فدخلت واستقبلنى بحفاوة : يا أهلا وسهلا ،

تفضل •

كانت القوالب قد تحولت الى قطع من الجمر ، فوضع غلاية

الشاي فى وسطها وبدأ يحشو حجر الجوزة بالتبغ قائلا : يا ألف

مرحبا •

— الله يرحب بك •

— ايه رأيك بقى يا كمال أفندى • • الميشة فى مصر أحسن ولا

فى الأرياف • ٢٠

— هنا الحياة لها طعم جميل بسبب المزارع والهدوء • • وبعدين

القرية صغيرة وسكانها عددهم قليل وهذا يجعل التعارف سهلا

والعلاقات بينهم قوية •

- بالضبط ، حضرتك لو سألتني عن أى واحد أقول، لك عليه .
- نكن الخدمات هنا سيئة .
- كيف ؟
- يعنى مثلا الخبز فيه رمل .
- قلة ضمير بعيد عنك واهمال .. أصل الناس يخبزون ولا يعتمدون على العيش السوقي .. انتظر .. قالها ونهض خارجا كأنه تذكر شيئا هاما ثم عاد حاملا رغيفين وطبق بلاستيك ، فقدها لى قائلا :

- ذق العيش « المرحرح » الذى نخبزه .
- أنا أكلت من دقائق فقط .
- وهل هذا أكل ، امسك .. انها لقمة خفيفة .
- طيب يا عم ، شكرا .
- كان الطبق مليئا بالقشدة ، والخبز رقيقا ، فأكلت أكثر من نصف رغيف وقلت : الحمد لله .
- كل يا كمال أفندى .
- أكلت كثيرا ، اللهم أدمها نعمة واحمها من الزوال .
- آمين يارب .. هل أعجبك خبزنا .
- نعم ، جميل جدا .
- خلاص .. فخلي أم دعبس تخبز لك شوية .
- لا ، شكرا يا عم أبى دعبس .
- لا تعمل تكليفا .
- لا داعى تعب الست أم دعبس وهى طبعا تشغلها كثير .

— تعبك راحة ، هي ان كان عليها تعب الشغل .. تفضل الشاي .
— شكرا .

— أم دعيس ، أنا أخذتها طفلة .. وكانت قبل ما تنام املا
حجرها كرملة وفول سودانى وبلح ، انما الحق .. هي من يومها
« لهلوبة » فى الشغل ، ويمكن هذا هو السبب فى أنها كانت
تجهض كثيرا فتم يعش لنا الا دعيس وزعبله .
— ربنا يخليهما لك .
— الله يحفظك .

— لكن .. ألم تكن هناك أسماء أفضل من دعيس وزعبله ؟
— دعيس فى شهادة الميلاد اسمه مصطفى وزعبله اسمه عادل ،
انما قلنا : لأجل يعيشا ومنعا للحسد .
— لكن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منا أن نحسن اختيار
أسماء أولادنا .

— بينى وبينك ، أنا كنت متلهفا للأولاد وأريد أن يعيشا بكل
طريقة لأنى قبل أم دعيس كنت متزوجا من احدى قريباتى ، وكانت
لا تنجب ومع ذلك عشت معها خمسة وعشرين سنة ولم أتزوج الا
بعد وفاتها لأنى كنت أحبها كثيرا .

— قلت لى : ان هناك موضوعا تريد أن تحدثنى فيه ؟
— أى نعم ، وهو بخصوص ابنى دعيس .. فهو فى سنة رابعة
ولا أراه يمسك كتابا وأريدك أن تختبره .
— حاضر .
— ياولد يادعيس .. هات كتبك وتعال .

كان فارح الطول مثل أمه ويحمل الكثير من ملامحها ، خصوص
العينين الواسعتين ، جاء حاملا حقييته المصنوعة من قماش أبيض ،
ابتسم وقال : مساء الخير •

— مساء الخير ، تعال •• اجلس بجانبى •• ها اسمك ؟•

— دعيس •

— لا ، اسمك الذى تقوله فى المدرسة ؟•

— مصطفى سليمان •

— هل تحفظ جدول الضرب يا مصطفى ؟•

— نعم •

— طيب •• قل لى 6×8 تساوى كم ؟•

— تساوى •• تساوى ، ٣٢ •

— لا •• تساوى ٤٨ •• هات كتاب المطالعة •

أخرج الكتاب من حقيبته بكسل شديد فقلت له :

— اقرأ الصفحة الأولى •

— د • د • دعاء •• ال •• الصباح •

— شاطر ، اقرأ •

— يارب •

— لا •• اللهم •

— اللهم •• ان •• انى •• أسأل • أسألك •

— أنت باين فى عينيك النوم ، اذهب الآن لكى تنام وغدا بعد

ما ترجع من المدرسة ، تغير ملابسك وتأكل ثم تأتى الى •

— يا كمال أفندى •• أنا عاجز عن الشكر •

- أعدك بأن مصطفى سيكون تلميذاً بشيطاً .. والآن اسمح لى أقوم .
 — انت شرفتنا ونرجو أن زيارتك تتكرر .
 — ان شاء الله .

— ١٤ —

- كانت الطاولة مفتوحة ، لكنهم مشغولون عنها بالنظر فى الصحيفة
 ألقىت التحية وجلست ، كان يتحدث فاستمر يقول :
 — ليس من المعقول أن نرفض وجود كائنات أعقل منا ولديها
 وسائل انتقال أسرع وأعظم من سفن الفضاء التى ..
 — على مهلك يا حضرة الفيلسوف .. عن أى شىء نتحدث ؟
 — ألم تقرأ ماكتبته « الأخبار » عن اختفاء طيار استرالى بعد
 مطاردته لطبق طائر ؟
 — لا .
 — اذن فاقرأ هذه السطور .
 — ملبورن « استراليا » — وكالات الأنباء — فشلت الطائرات
 والزوارق الاسترالية فى العثور على أثر لطيار استرالى اختفى منذ
 أربعة أيام بعد أن أبلغ عن جسم طائر لا يعرفه يقوم بمطاردته .
 — ها ، ما رأيك ؟
 — شىء عادى ، أذكر أننى قرأت عن طبق طائر نزل فى قرية
 برازيلية وخرج منه عدد من رواد الفضاء — سرقوا خمسة عشر
 دجاجة وستة خنازير .
 — ها . ها ، لابد أنهم كانوا جائعين !

- انها ليست نكتة •
- معنى ذلك أنهم جاءوا يلتقطون عينات حيوانية من الأرض ١٥ •
- احتمال كبير •
- يا جماعة .. الأطباء الطائرة أصبحت ظاهرة علمية لا يمكن انكارها •
- وكيف نكرها بعد ما قاله عنها أينشتين أعظم علماء الرياضة في كل العصور •
- أيوه يا صلاح ، أنا عارف انك معجب بأينشتين •
- انه كان يتحدث في التلفزيون الأمريكي عن أصحاب الأطباء الطائرة فقال : لا أستبعد أن يكونوا أناسا عاشوا على الأرض من عشرين ألف سنة •
- ياه ا • عشرون ألف سنة • ا وهل هذا معقول ؟ •
- على هذه الأرض لا .. أعتقد أن أينشتين مخطيء •
- بقى انت يا سيد يا عطوة تعرف أحسن منه ا •
- بالقرآن يا أخى .. القرآن يؤكد وجود سبع أراضى مثل الأرض التى نعيش عليها مما يستوجب أن تكون عليها حياة مشابهة لحياتنا .. ويتضح ذلك فى قوله تعالى :
- « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » • (صدق الله العظيم) •
- لكن المخلوقات العاقلة لا توجد الا على أرضنا متمثلة فى الانسان •
- لا يا محسن .. الانسان ضورة من صور المخلوقات العاقلة

لأن القرآن الكريم يتحدث عن وجود مخلوقات عاقلة •
— فعلا ، إنما السؤال الذى يطرح نفسه ، هل هذه المخلوقات
أعقل منا ؟

— بالتأكيد •• وهذا مادفع كارل يونج أعظم علماء النفس
المعاصرين — لكى يبعد عنا المخاوف — يقول : كل عصر وله خرافاته
وأن خرافة هذا العصر ••

— لا ، لسنا فى عصر الخرافات •• لا •

— ياسلام عليك يا عطوة ، انتظر يا أخى •

— يونج يقول : فى عصر انتشرت المفاريت والأشباح وفى عصر
ظهر حجر الفلاسفة الذى يحول المعادن الى ذهب وفى عصر آخر
نجد أكسير الحياة الذى يعيد الشباب أما هذا العصر العلمى ففيه
خرافة الأطباق الطائرة •

— معنى ذلك أنها ظاهرة وقتية سوف تنتهى بعد فترة •

— لا ، لا : أحدث النظريات العلمية تقول أن الأساطير القديمة
لم تكن من صنع الخيال لكنها تحدثت عن أشياء حدثت فى العصور
القديمة •

— طيب ، معنى هذا أن كلام يونج غلط • !

— لا يا عطوة •• يونج نفسه اعترف بظاهرة الأطباق الطائرة ،
لكن يظهر أنه بحكم مهنته أراد أن يريح الناس فقال : ان هذه
الأطباق خرافة اخترعها العقل الانسانى لكى تريح الناس وتتجسد
فيها أحلامهم ورغباتهم فى الهرب من الأرض وهمومها •

— وهل هذا معقول ؟ كيف يرتاح الناس أمام هذه المقول
البجبرة القادرة على تحويل الأرض الى حقل تجارب •

— انها مهذلة .. مثلما الطيور والأسماك لا تفهم ما الذى نصنعه
 بها فكذلك نحن لا نعرف ما الذى يدور حولنا فى الكون الواسع .
 — طيب ، ايه العمل لو نزل طبق طائر عندنا فى كفر الغنيمى ؟
 — عجيبة عليك يا ممدوح ، بقى الدول المتقدمة عاجزة أمام هذه
 الأطباق وتظن أننا يادولة نامية .
 — لكن يا عامر ، مانراه فى حلقات « ستيف أوستن »
 « والبايونيك وومان » يؤكد أن أمريكا تستعد لمواجهة هذه
 الأطباق .

— يا أستاذ محسن ، هذه الحلقات من وحى الخيال .
 — لكنها تعبر عن حقائق .. أو هى انعكاس للواقع .
 — كيف ؟
 — ايه رأيكم يا جماعة تتكلم عن مشاكلنا المحلية وبلا شئ من
 « اللغوسة » فى الأطباق والصحون .
 — انها قضية العصر يا أستاذ صلاح .
 — وليكن .. مشاكلنا أهم .
 — أنا أضم صوتى لصوتك .
 — عامر لو اتبعناه يوصلنا للالحاد أو الجنون .
 — ويظل هو عاقل ا .
 — ها . ها ها .
 — اتم أحرار .. ارم الزهر يا محسن .

— ١٥ —

لمحتها خارجة من عندنا ، كان مجدى يرتب الحجرة والعرق

يتصبب منه ، ذرات الدقيق تملو ملامحه وتبدو على جلبابه الأخضر
بوضوح ، أشار الى سلة الخبز قائلا :

— أحضرتها أم دعبس الآن •

— وهل كنت تساعدنا ؟

تنبه ونظر في جلبابه ، تقض عنه الدقيق وأجاب :

— وضعت معها سلة الخبز في هذا المكان ، لأنها كانت ثقيلة عليها •

— وطبعا كالأفانك بقيلة طويلة •

— أنت ، تفكيرك شطط لبعيد قوى •

قالها بغضب وهو يرمقني بنظرة حادة ، مد يده الى الشماعة
فتناول جلبابا نظيفا وفوطه ثم خرج متجها الى الحمام ، غيرت ملابسى
وأنا ألوم نفسى : « لقد تسرعت ، ما كان يجب أن أكشف عن أفكارى
هكذا ، لكنى رأيتها وهى خارجة من هنا ، كان الدقيق يغطى كل
ملابسها ولا بد أنه احتضنها • • اللهم اخزك يا شيطان » •

جلست أقطع صينية الأرز ، فجذب انتباهى شيء وردى ملقى
باهمال تحت السرير ، اقشعر بدنى ، تأكدت الآن من صدق
احساسى ، غلى الدم فى عروقى ورددت فى نفسى :

— عمر ذيل الكلب ما يستقيم أبدا ١٠

جاء يصفر وهو يفرك شمره بالفوطه وقال باتعاش :

— ياسلام • • الواحد جسمه فاق •

— من الرزيلة ١٢٠

— تقصد ايه ٢٠

— أقصد هذا القرف •

- رأيتك ٢٠ ٠٠ وايه بعنى يا أخى ١٠
- ايه يعنى ٢٠ صحيح ، ان لم تستح فافعل ماتشاء ١٠
- أستحي ٢٠ ٠٠ يعنى ايه ١٢ ٠
- فيه مبادئ وقيم لازم تراعيها ٠
- مبادئ ٢٠ وقيم ٢٠ ها ٠ ها ٠ انت طيب ٠
- هذه الكلمة تفرقنى ٠٠ بقى معناها : انى ساذج ٠
- لا ، انت غلطان ، أرجوك لاتحرف كلامى ، وخلينا أصحاب على طول ٠
- أصحاب ٢٠ وهل هذه أصول الصحبة ٢٠
- آه ٠٠ فهمتك الآن ، تغار منى وتريد أن تشاركنى فيها ٠
- الحرامى يظن كل الناس مثله ٠
- اذن فانت أما أن تكون مخلصيا أو ٠٠
- ياقدّر ، احترم نفسك ٠
- ألسنت رجلا ، أليس لك شهوة ١٢
- لكنى أتصرف بعقلى ولا أنساق لغرائزى بل أصبر حتى أستمتع بها فى الحلال ٠
- ومتى يأتى هذا الحلال ٢٠
- وقت أن يشاء الله ٠
- آه ، بعد عشرين سنة ، على ماتحوش المهر الذى منه وساعتها تبقى على المعاش ، أنت متفائل ٠٠ صدقنى ، أما أنا فاحينى اليوم وأمتنى غدا ٠
- مستكون آخرتك سوداء ٠

— أترى هذا ؟ ١٢٠ خذ ، تعال ، ٠٠ الى أين ذاهب ؟ ١٠

— ١٦ —

تسرب الصداع الى رأسى من ضجيج الطاولة وكثرة الأصوات
المداخلة :

- جهاز ، يك ٠٠ حتى الزهر معاكس معى •
- لأنك مفتر ، أنت مفتر •
- دبش ، أمسكه •
- دورجى ٠٠ ضاعت ، ضاعت يا ناصح •
- عامر خلى الطاولة مثل البيانو •
- صلاح فاكرك انه يقدر على •
- صبرك يا فيلسوف الغيرة •
- فكرت فى الانصراف ، لكننى لمحت سيد عطوة ، دخل حاملا دفتر
شعر والصحيفة اليومية ، ألقى التحية وجلس الى جانبى ، فأخذت
منه الجريدة وبدأت أتصفحها •
- ماذا حدث ؟ أليس النقيب سبير هو الجالس هناك ؟
- قالها سيد عطوة بصوت هامس مشيرا بأصبع ابهامه الى الركن
الأيسر حيث يجلس شاب أسمر مقتول العضلات •
- لابد حاجة حصلت فى المركز •
- وحاجة خطيرة بالتأكيد •
- أقوم وأسأله ؟
- هل جننت ، ربنا يجعل كلامنا خفيفا عليهم •
- اللعب ياسيدى ، خيلنا فى الطاولة •

- استعد يا كمال .. محسن لن يفلت من « المارس » •
- عطوة يلاعبك حتى انتهى من قراءة هذا التحقيق •
- أقرأه بعدين •
- لا ، انه تحقيق مشير •
- ياه .. عن ماذا ؟
- علماء أمريكا يكتشفون الذهب فى قاع المحيط •
- ياسلام .. هذه هى التكنولوجيا والا فلا •
- ونحن مازلنا مشغولين بالبحث عن نجوم الشاشة الفضية •
- الفقر له ناس « بالعنية » •
- الحاجة التى تغيظ وتفقع ان بلدنا كلها خيرات ، تصدقوا ان صحراء سيناء فيها مادة أعلى من الذهب •
- فيها ايه .. ماس ؟
- يورانيوم .. وعلماء الغرب يتوقعون ان تصبح مصر أغنى دوة فى الشرق الأوسط •
- لا ، الأعجب من هذا أن الصحراء الغربية فيها آبار بترول مردومة •
- مردومة .. كيف ؟
- عندما قامت الثورة وبدأت حركة تأميم الشركات الأجنبية ،
- حرق الخبراء الخرائط وردموا الآبار •
- الأدهى من ذلك أنهم يصطادون علماءنا .. هل نسيتم ما فعلوه بالدكتور مصطفى مشرفة ؟
- عليهم اللعنة •

— على قدر ماعقولهم كبيرة ، على قد ماقلوبهم مليئة طمعا وأناية .
— أما لو كل دولة كبيرة تطمع فى ثروات الدول النامية ربنا
يسلط عليها طبق طائر يفتك بها .

— حيلك ، حيلك .. أتريد للعالم كله الدمار ؟
— والنبي يا محسن خليلك واقعى وبلا شئ من الأحلام .
— أنا رأيى ان الأمل فى تكتل الدول النامية لمواجهة ..
— يا أستاذ كمال ، من أين يأتى هذا التكتل ؟ وكل حكومة
تخاف من الأخرى ولا تطمئن لأية نوايا حسنة ؟
— آه ! للأسف ، مشكلة السلطة أبعدت الدول النامية عن
بعضها البعض مع أن المصلحة واحدة .

— يا جماعة ، المشكلة تنبع أساسا من غياب الوعى .
— يا أخ عطوة .. الدول المتقدمة فيها السلطة للشعب ، والحكومة
وفليفتها المحافظة على مصالحه ، إنما فى الدول النامية ، الحال
مقلوب .

— غصب عنها لازم تكون هكذا خوفا من الانقلابات ودسائس
الدول الكبرى .

— الدول النامية فى حاجة لزعيم قوى .
— لو فيه وعى ..
— واقرض يا عطوة أن الناس عندهم وعى ، لكنهم جائعون ؟
— بس ، كان يبقى فيه مبادئ متفق عليها .
— يكون فى علمك ان الجائع لا يفكر فى حرته طالما يبحث عن
رغيف ال ..

فى هذه اللحظة كان الضابط سيمر يقف ورائى ، نظروا اليه
وانعقدت ألسنتهم كان على رؤوسهم الطير •

— مساء الخير يا جماعة ، استمروا كما كنتم •
قالها وسحب كرسيها ، فجلس الى جانبى ثم طلب أن يقرأ برج
الحظ فأعطيته الجريدة •

— جهاز ، سيه •

— فك وارحل •

— دوبارة .. ياعينى على الحظ •

— هل قرأت هذه ؟ •

قالها ومال نحوى هامسا : سأنتظرك بالخارج ، لا تتأخر •
ثم طوى الجريدة وقام شاكرا •

— ١٧ —

كانت هناك سيارة جيب خضراء داكنة تقف خلف النادى ، فتح
بابها قائلا :

— تفضل يا أستاذ كمال •

— الى أين ؟ •

— أحتاج الى مساعدتك ، اركب •

شعرت بالأمان فركبت وانطلقت السيارة ، علت شفثيه ابتسامة
رقيقة ، كان يتمتع بقدر وافر من الوسامة • يقبض عجلة القيادة
بقوة ، ويحرك معها ساعديه المفتولين بخيوية زائدة كأنه واحد من
ابطال الأقلام البوليسية •

— ألا تعرفنى ؟ •

هكذا سألتني والابتسامة لا تزال تملو شفثيه ، فكرت قليلا ثم
أجبت :

— ملامحك ليست غريبة على ، لكنني لا أذكر أننا التقينا ..

— اذن فقد نسيت زميلك •

— لكنني لا أذكر أنني ..

— ألم تكن في مدرسة روض الفرج الابتدائية .. ؟

— نعم •

— أنا سمير عبد الكريم ، وكنت رئيسا لفريق كرة القدم
بالمدرسة •

— فعلا ، تذكرتك الآن ، كنت تسبقني بثلاثة أعوام ، ياه ..

زمن • ١

— فرحت كثيرا عندما علمت أنك تعمل هنا ، فأخيرا وجدت
الرجل الذي أثق به وأستطيع أن أعتمد عليه •

— أنا تحت أمرك وأشكرك على هذا الشعور الطيب •

— علمت أنك تسكن مع العرييد •

— قصدك مجدى • ؟

— أيوة ، قل لى ، أنت إيه رأيك فيه ؟

— أعتقد أن كلمة عرييد هي أنسب وصف له وإن كنت أشعر

أحيانا انه مسكين •

— لماذا • ؟

— انفرس فى الوحل وكلما حاول أن يتراجع انفرس أكثر •

— كيف • ؟

— ورط نفسه فى علاقات مع الأشقياء •

— أشقياء مثل من ؟

— المفروض أن حضرتك أدري منى بهم •

— لا بالعكس ، أنت تعيش بينهم وتراهم عن قرب •

— لكننى لا أجالسهم وأقضى معظم الوقت فى النادي •

— المساعدة التى أطلبها منك أن تقترب منهم وتعرف الأعمال التى

يفكرون فيها •

— تبقى حضرتك محتاج الى شرلوك هولمز •

— أنا شخصيا أحبه ، ومع ذلك لا أطلب منك أن تكون مثله ،

فقط أريد أن تمدنى بما يتوفر لديك من معلومات بحكم وجودك

بينهم •

— وافرض اننى لم آت للعمل فى هذا الكفر ؟•

— هل تعنى أنك لن تساعدنى ؟•

— أقصد لماذا لم تطلب من شبان النادي أن يساعدوك ؟•

— انهم جبناء •

— أطلبت منهم فتقاعسوا ؟•

— نعم •• بعضهم خاف وبعضهم تربطه بالأشقياء صلة قرى •

— وبعضهم يتهم رجال الأمن بالتقصير •

— لماذا ؟•

— خذ مثلا قضية الأسطى حسن زوج سعاد المجنونة •• هل أنت

مقتنع بتقييدها ضد مجهول ؟

— أحيانا يكون التقييد ضد مجهول من مصلحة القضية •

- تقصد أنها خدعة ؟
- وايه المانع ؟
- هذا يجعلنى أشك فى سعاد ؟
- من ناحية ايه ؟
- يخيل الى أنها ليست مجنونة .
- اذن فأنت أخطر من شرلوك هولمز .. ها ها ها .
- ١٨ —

أحضرت لها رغيفا وثلاث قطع من السمك ، وضعتها فى حجرها :
 — خذى ياسعاد .
 فتحت الورقة ، نظرت فيها وابتسمت : ربنا يخليك .
 — كلى ياسعاد .
 كان مجدى يشعل النار فى المنقد ، تصاعد من القوالب دخان
 كثيف يلهب الجفون ويسيل الدمع :
 — كفاية دخان بقى يا مجدى .
 — خلاص ، القوالب بدأت تصفو .
 — مساء الخير .
 أطل بوجهه المسحوب كأنه غفريت ، خرج من سجادة دخان .
 — أهلا مساء الخير .
 — أين كنت ياسعد ؟
 — فى الدنيا الواسعة .
 جلس وهو يمز رأسه بحركة تمثيلية ، ركز عينيه عليها وسألها :
 — ماذا تأكل سعاد ؟ هاتى حته سمك .

— ياجدع اتركها فى حالها •
 كانت تأكل بنهم ، فلم تحفل به ، استدار نحوى قائلا :
 — ياسلام يا كمال « ييه » لو رأيتها قبل أن يموت زوجها ••
 كانت نؤارة مفتحة •
 — قم ياسعد ، هات ورقتين « مصل » •
 — ورقتين بس • ؟ قل ثلاث ، أربع ورقات وخرج فسمعنا من
 يسأله بلهفة :

— عم جابر هنا ياسعد • ؟
 — لا ، ادخل •• ادخل •
 — مالك يا ولد يا حسين • ؟
 — لا مؤاخذه ياسى مجدى ، أنا عارف انى أزعبتك كثيرا •
 — ها ، وبمدين •• تكلم على طول •
 — البوكس نزل الكفر ياسى مجدى ، خبىنى اعمل معروف •
 — تعال ، جاءتك داهية •
 جذبه من ياقته وفتح جانب الكنبه السجارة ، دفعه داخلها كأنه
 يشحن خروفا فى قفص •
 ثم قال موجه كلامه اليه :
 — ناس تأكل البلح وناس تحدف بالنوى •
 — ليس لى بركة الا افت ياسى مجدى •
 — أما تشوف •
 أسدل كسوة الكنبه ثم وضع غلاية الشاى على النار والتفت
 بسألها بشيء من اللين :

— سعاد أين كنت مختفية ؟

لكنها لم تجبه وظلت تنظر فى حجرها وهى تقضم وتبضع ، مد يده الى ذقنها ورفع وجهها فنظرت له بعدم ارتياح ثم تملصت منه :

— يا أهل الله .

— سعاد .. لماذا اختفيت كل هذه الأيام ؟

— يوه . !

واستطرد فى حنين مصطنع : تعالى يا أم سعد .
دخلت بعودها الجاف وثيابها المهلهلة : اتمسوا بالخير يا أولاد .
قالتها وهى تمسح المكان بعينها الخاليتين من الرموش :

— هو سعد ليس هنا ؟

— لا ، كان هنا وخلص . !

— والنبي ياسى مجدى ابقى شيمه ، أنا جهزت العشاء وقاعدة منتظراه .

— حاضر ، حاضر يا أم سعد .

— يحضر لك الخير يا بنى .

واستدارت نحو سعاد بنظرة ثاقبة :

— وأنت يا أختي قاعدة هنا تعملين ايه ؟ .. فأكلتى .. جاءتك

زغدة .. أعقلنى وتعالى أزوجك لسعد .

— روحى يا أم سعد الحقى العشاء قبل ما القطة تأكله .

— لا ، لن تعرف طريقه .

— طيب ، اذهبنى ولما يأتى سعد سأبعثه اليك .

- على طول والنبي يا بنى .. اتمسوا بالخير .
- مع السلامة .. يحونك فى كنكة ١٠
- المبارة الاخيرة قالها بصوت خافت واستطرد :
- يا اخى ، هذه المرأة عمرها مجبس بشكل ١٠
- ولم يكد ينتهى من كلمته حتى سمعنا سعاد تعانى من «الزغطة».
- فقال لها : مالك ؟ هي حسدتك ولا آيه ١٠
- من هي ١٠
- قالها جابر ودخل فصافحنا وجلس مكررا : من هي ١٠
- أم سعد .
- أما زالت عايشة ١٠
- وكانت هنا منذ دقيقة .
- وكيف حسدتك وأنت مثل المجلة يا بنت ال ..
- آه .. احسدها انت بقى .
- بنت ياسعاد ، افت فمك فيه آيه ١٠ .. وابور طحين ١٠
- انت يعنى مهتم بسعاد قوى الليلة ١٠
- وفحن عندنا كم سعاد ، الفرر غدا يا بنت .. لا تتأخرى .
- خلاص اتفقتوا ١٠
- خير البر عاجله .
- وطبعاً انت والأستاذ من أول المعازيم ، فلا تتأخرا .
- ان شاء الله وربنا يتم بخير .
- مبروك يا عم جابر .

— الله يبارك فيك ، ابقى يامجدى هات معك « الطبنجة » التى
كنت تصلحها •

— لا •• رجعت لصاحبها •

— ياه •• والثانية الروسى ؟•

— مازالت معصلجة ولن تنفع •

— ياخسارة •

— أستاذ كمال ، يا أستاذ ••

— تعال يادعيس •• ادخل •

— لو سمحت كلم والدى •

— يا حلاوة يا جدعان ، دعيس عرف يتكلم ويقول « والدى »

•• ها • ها •

قالها جابر بمزيج من الخبث والحقد ، بينما قال مجدى :

— على فكرة •• دعيس سأل عنك قبل ذلك •

— طيب عن اذنتكم •

— ١٩ —

كان أبو دعيس يرم ييده اليمنى مغزلا خشبيا يتدلى من اليسرى
القابضة على قطعة من صوف الأغنام •

انفجرت أساريره وتهلل وجهه :

— بقى يعنى الواحد بيعث لك عشرين مرسالا لكى يراك •

— الحقيقة ، أنا تأخرت فى النادي ، لكن والله كل يوم أسأل

عنك •

— بلغنى ، سألت عنك العاقبة •• يا ولد يادعيس ، اعملوا

الضاي •

قالها والتفت يسألني : أم نجدد عشاء ؟

— لا ، أنا اتعشيت .. الحمد لله •

— كنت الصبح تعبان قوى ، صدرى كان مكتوما •

— ألف سلامة •

— الله يسلمك .. فضلت أكل ، وكان سكيننا يمزق صدرى ..

فذهبت للدكتور قام كتب لى هذه الأدوية •

— كلها • ا

— والغريبة أنه لم يقل بصراحة ، أنا عندي ايه • لذلك أريدك

أن تقرأ الكلام المكتوب على هذه الأدوية لى أستريح وأعرف

أنا عندي ايه •

— لا ، بسيطة ان شاء الله •

— وبمدين ياكمال افندى ، أتريد أن تخبىء عنى أنت أيضا •

— لا ، أبدا .. لكن أريدك ألا توهم نفسك وتكبر المسألة •

— هى حاجة بالعقل ، لو لم أكن عندي حاجة خطيرة ما كان

كتب كل هذه الأدوية •

— طيب ، انتظر حتى أقرأ •

فتحت العلب وأخرجت منها النشرات الطبية فوقعت فى حيرة

لأنها تشير الى أن حالته خطيرة فعلا ، وكلها أدوية تعالج حالات

مثل الذبحة الصدرية وضيق التنفس والربو الشعبى ..

أشفقت عليه فقلت :

— يظهر يا عم أبى دعبس أنك كنت عرقانا وعرضت نفسك لتيار

• هواء •

- ياه .. ويقوم يكتب كل هذه الأدوية •
- طبعا .. لكن المهم أنك تواظب على العلاج ولا تجهد نفسك
- بالشفاء ان شاء الله •
- الله يكرمك .. يا ألف مرحبا •
- الله يرحب بك •
- أعمل حسابك أن غدا بمشيئة الله ستتغذى معا •
- غدا سأكون في مضر لزيارة أخى •
- طيب ، يصح بقى ان أم دعبس تعمل فطيرتين و ..
- لا .. شكرا ، شكرا •
- لا تعمل تكليفا •
- أبدا والله ، انت عارف زحمة المواصلات ، وان كان على
- الفطير سأطلبه فى الوقت المناسب •
- صحيح • ؟
- أى والله .. وأرجو أن تنادى على غدا اذا استيقظت فى
- وقت مبكر •

— ٢٠ —

- رجعت حوالى العاشرة مساء ، كان الكفر غارقا فى ظلمة حالكة،
- سألت عسكري المرور القابع فى الكشك :
- هل تيار الكهرباء مقطوع عن الكفر ؟
 - يظهر أن أحدا لعب فى المحول ، آه .. لازم يقصد أن فرح
 - ابنة شيخ الخفر ينقلب فوضى •

مشيت بمحاذاة الطريق الزراعى ، تحت الأشجار الضخمة ، كانت
الترعة شبه جافة والضفادع يعلو نقيقها ثم ينخفض ليعلو من جديد
شمرت بحركة غير عادية فتوقفت .

لمحت شبحا ينزل الترعة ، اقشعر بدنى ، حاولت أن أراقبه من
وراء جذع شجرة ، كان يحمل شيئا ويمبر الترعة ، لكن قداميه
نفوسان فى الوحل ويرفعهما بصعوبة ، تملكنى القلق ، حبست
أنفاسى ، ومرت لحظة ثقيلة كتيبة حتى أقبلت سيارة فاضاءات
المكان ، تنفست الصعداء وجريت إليها :

— سعاد ، بنت ياسعاد ، ماذا تفعلين ؟ وما هذا ؟

— هه ، هه ، هه .. أ .. أستاذ كمال . ربنا يخليك ماتقول لأحد .
ربنا لا يفضح لك ولىة .

— ماذا ستفعلين بهذا الحطب ؟

— « اتركنى وحياة الغالى عندك ، وكانك لم ترنى .. كانك ام
ترنى .. »

اختفت فى الظلام ، واصلت سيرى وأنا فى متهى التعجب :

— لماذا هى مرتبكة . ومافائدة الحطب لها ١٩٠ ماذا ستفعل
به ١٩٠ .. لابد أنها تخفى شيئا فيه .. هل تحولت الى الرقعة
والخطف ٢٠٠ .. يالها من مسكينة ١٠

وجدت الباب مواربا ، دفعته ودخلت وسط الصنعة ، تمثرت فى
المنقذ ، ناديت : مجدى ، مجدى ، مجدى .

لكن أحدا لم يرد ، قلت لنفسى : « ييلو آله خرج الى
الدكان » .

تحسست طريقى الى الكنية ، جلست ، مرت دقائق ولم يمد ،
خلعت الحذاء وتمددت ، سمعت وقع أقدام ، كانت مفاجأة مذهلة
عندما قالت بصوت هامس : مجدى .. يامجدى .

— ليس هنا .

— أنت ١٩٠

قالتها بخوف وانطلقت خارجة تسحب خيوط العار والخزى .
نفخت من شدة الغيظ :

— أف ياخائنة . ا عليك اللعنة ، أين أنت من سعاد الوفية
المخلصة .

— ٢١ —

فتح دفتر الشعر ورفع يده قائلاً : بس ، بس .
وكان ينطق الباء ممدودة ثم استطرد : سأقرأ لكم أحدث
قصيدة .

— قال يعنى سيقراً بيان مجلس الوزراء . ٢٠

قالها بسخرية وهو يشيح بوجه شخص لم أره فى النادى من
قبل ، فرماه عطوة بنظرة غاضبة ورد بنبرة متشنجة :

— تعرف ياطلعت تنقطنا بسكاتك . ١٩

— خلاص يا عطوة اسمعنا قصيدتك .

قلتها محاولاً تهدئته فمصص بشفتيه وبدأ يقرأ :

إذا المنية لاحقت السانا علت ذكراه كوكب النسيان

الا بن رحيق غرسه الانسا ن ينتشر عطره فى كل مكان

ولم يكذب يقرأ هذين البيتين حتى دخل عامر قائلاً :

— لا تسرح بهم ياسيد ياعطوة ، حرام عليك .. السلام عليكم ، كيف حالك يا أستاذ كمال ؟
— الحمد لله •

— هل قرأت جريدة « الجمهورية » ؟

— لا ، قرأت « الأهرام » •

— اذن فاسمع هذا الخبر .. هبط في الكويت طبق طائر ، قالت الصحف المحلية : ان ثلاثة مواطنين كويتين وموظفا أمريكيا شاهدوا الطبق الطائر وحاولوا الاتصال بالجهات المسئولة ولكن هبوط الطبق قطع جميع الاتصالات التليفونية بالمنطقة •

— مادام نزل في الكويت ، ليست بعيدة أنه ينزل عندنا في الكفر • ١

— لكن لماذا عطل التليفونات • ١٢

— ياجماعة انتظروا حتى أكمل الخبر •

— قل يا عمر ، أكمل •

— .. وقد وصف شهود العيان الطبق بأنه دائرى فى حجم الطائرة ، تجره قاطرة وتعلوه قبة عليها ضوء أحمر وتغمر الطبق أضواء باهرة • وأضافوا أنه أقلع بشكل عمودى بعد سبع دقائق من هبوطه •

— يعنى هو مثل الطائرة الهليكوبتر •

— غريبة ان الطبق يظل واقفا سبع دقائق وهم عاجزون عن عمل أى شىء •

— خيبة ، لو أنا كنت ..

- يعنى كنت تعمل ايه يا ناصح • ؟
- شىء طيبى أن المفاجأة أذهلتهم •
- يجب أن نستعد من الآن لكى لا نضرب لكمة اذا نزل عندنا •
- أيوه ، افضخنا انت افضخنا •• لكى يقولوا هذه المرة : ان الشراقة عزموا الطبق الطائر على الغداء •
- ها • ها ها •

- الله يجازيك يا عامر • ا
- لا ، اطمئن ، لن تراه أبدا •
- صحيح ، الكويت وفيها بتروى ، انما كبر الغنيمى فيها
- ايه • ١٩

- المشىء المحير : من أين جاء هذا الطبق ولماذا جاء ١٩ •
- والله نرجع ونقول : كان ياما كان •• كان فيه زمان حضارات كثيرة ظهرت واختفت قبل الأوان ثم أعيدت الحياة اليها من جديد بشكل مختلف •

- فعلا •• التاريخ القديم يتكلم عن حضارات كثيرة اختفت وتركت وراءها ألغازا مثيرة ، من ضمنها مثلا : أهرام الجيزة التى تشير أطرافها الى الجهات الأصلية بدقة مذهلة •

- الشىء العجيب أنه ، مادامت هذه الكائنات متقدمة جدا •• فلماذا لا تدير مع الإنسان حوارا حضاريا ١٩ •

- صح •• وهذا دليل على العنصرية والعنصرية •

- يا جماعة ، اللغة مفقودة •

- وأيضا طبيعتهم مختلفة •

— صح .. انما العملية فيها غطسة ، يعنى لو أن رجلا من فولة
متقدمة نزل فى قلب غابة افريقية ، يستحيل أن يتم أى تضام
بينه وبين الافريقى البدائى ساكن الغابة •

— لا ياسيد .. على الأقل الناحية الانسانية ستدفعه ..
— أبدا ، من رابع المستحيلات أن يحدث حوار بينهما لأن هذا
الأوربى ان لم ينظر الى البدائى نظرة استعلاء فهو سيخاف منه
وبالتالى ..

— يا جماعة نفسنا نرف : من أين ولماذا تأتى الأطباق الطائرة ١٩٠
— علمها عند ربها •

— اسمعوا القصيدة الجديدة •

— أرجوكم ألا تصفقوا ولا تخرجوا حتى تنتهى سلامة من
الفناء • ١

— أفا سلامة يا ابن الفقى •

— اسم الله عليك يا ابن البخل .. أبوك يربط للبطيخة رأسها
بمنديل •

— يا أبا « أبورة » يا ابن الذى يلم « الأبور » من على
الجباين •

— هكذا ، طيب خذ ، خذ ..

قالها طلعت بعنف وهو يكيل الضربات واللكمات فى وجه سيد
عطوة وبين ضلوعه • هاج النادى وتحول الى حلبة مصارعة بين
عائلى هنداوى ومنشاوى • وبدأ التخريب والتكسير ، فأدات
اللب والكراسى ترتفع وتطير فى الهواء لتسقط على الرؤوس

وتدمى الوجوه • أحسست بارتباك شديد وأقذفنى صلاح الذى
أمسك ييدى قائلا : هيا بنا ، مالنا يا عم ومال هؤلاء الفجر •

— ٢٢ —

كان يصلح مسلما قديما ، التفت بشئ من الفزع وقال بنبرة
غاضبة :

— يا أخى تكلم ، قل : احم •

— خفت • ١٩

سكت ومرت فترة من الصمت ، أخفى المسدس وجاء يسألنى :

— ايه السبب اذك تأخرت هكذا ؟

— منى ابنة الناظر متأخرة فى دروس الفرنسية و ..

— يا وعدى •

قالها بطريقة غجرية وهو يصفق ويهز رأسه كانه يشجع راقصة
خليعة واستأنف قائلا :

— وصلت يا أبا كمال ، أنت وصلت •

— لا أعتقد ان حضرة الناظر يفكر على هذا النحو •

— مالنا ومال الناظر ، هى السنارة غمزت وخلاص •

— وحياتك السنارة ضائعة .. ولعللك الشخصى أن أخساها

الصغير يجلس معنا أثناء المذاكرة •

— وايه يعنى ، المهم انها نظرة فبسة فقبلة وبمدين الحقنى يا بابا

... هذا آجه وهذا أريده •

— ياسلام على أفكارك النيرة ١٠

— اسألنى أنا عن بنات اليوم •

— السؤال لغير الله مذلة ، قل لى .. أين الأكل ؟
— عندك ، فوق المنضدة .

بدأت أمضغ طعامى وأنا شارد بأفكارى مع وجهها البضاوى
المشرق وشعرها الفاحم الجليل وعينيها المليئتین بكل معانى
العذرية ..

تنبت فجأة على صوت جابر شيخ الخمر يقول لمجدى :

— مصيبة ، حصلت لى مصيبة .

— حصل ايه كفى الله الشر ؟

— البندقية أم روحين سرقت .

— سرقت كيف ؟ أين كنت تخبئها ؟

— فوق السطح ، فى الحطب .

— وتشك فى من ؟

— لا أعرف .. اتنى لم أخبر أخدا بمكانها .

— ألم تخرجها ليلة الفرح ؟

— لا ، لا لم أخرجها .

— تبقى العملية فيها ملموب .. ملموب كبير قوى .

— مصيبة وقعت على يافوخى ، دبرنى يامجدى ، أعمل ايه ؟

— ولا حاجة تعمل ايه ؟ احمد ربنا انها ليست بندقية الحكومة ،

كان بيتك انخرب .

— ماهى ممكن تصل للحكومة وأروح فى داهية .

— لا ، أبدا .. مسيرها تظهر .

استقبلنى النقيب سمير بحفاوة بالغة وقال : تصدق يا كمال اتى
كنت أتوقع مجيئك الآن ١٩

— القلوب عند بعضها كما يقولون •

— من ساعة وأنا أريد أن أخرج لكن شيئا خفيا يقيدنى الى
المكتب هكذا ... قل لى ، ماذا تشرب ؟

— أى حاجة •

ضغط جرسا على حافة مكتبه فجاء واحد من الجنود : تمام
يا أفندم •

— هات اثنين شاي بسرعة •

همم التفت الى وسألنى : وياترى ماذا كنت تفعل هنا فى منيا
القمح ؟

— لا ، أنا أتيت اليك مباشرة •

— أهلا وسهلا ، انت تشرف فى أى وقت •

— شكرا •

— قل لى ، عامل ايه مع العرييد ؟

— لا شئ تقريبا •

— وسعاد أخبرها ايه ؟

— رأيتها أخيرا فى وضع مريب •

— سعاد ؟ مع من ؟

— لا ، أنا لا أقصد هذا المعنى اطلاقا •

— فسر كلامك •

— انقطعت الكهرباء ليلة أمس الأول أثناء قرح بنت شيخ
الخفر وكنت راجعا من القاهرة ، سمعت شيئا يطيش فى التربة
واقطع نقيق الضفادع ، ثم لمحت شبحا يحمل شيئا ويعبر التربة ،
وقفت خلف جذع شجرة ، مرت سيارة فأضاءت المكان ، رأيت
سعاد ، كانت تحمل حزمة من الحطب ، ناديتها فارتبكت ورجتني
ألا أخبر أحدا عنها ثم تركتني وعبرت الطريق متجهة الى الحقول
فى الجانب الآخر •

— كان يجب ألا تتركها هكذا •

— فلننت أنها سرقت هذا الحطب لتطهو طعاما أو تدفئ ••

— لابد أنها كانت تخفى شيئا فيه •

— هذا ماورد بغاطرى ليلة البارحة فقد سمعت جابر شيخ الخفر
يلنم مجدى أن كارثة حدثت له وهى أن البندقية أم روحين سرقت
من الحطب •

— من الحطب ١٢٠

— ليست بندقية الحكومة لكنها بندقية غير مرخصة على
ما فهمت •

— بالتأكيد سعاد هى التى سرقتها •

— والعمل ؟ •

— هذا وضع خطير ويجب أن أتحرك بسرعة •

— ٢٤ —

ارتديت ملاپسى وأنا أفكر بشئ من التلق لأنى حتى هذه اللحظة

لم أكن بمستطيع أن أخمن رد الفعل أو التصرف الذى ستقوم به
« منى » ، لم أكن متأكدا من أنها ستفهم ماكتبته لها .

وبينما كنت متأهبا للخروج سألنى مجدى : الى أين .. بعد
ما أغلقوا النادي ؟

— الى أين ؟ .. اسمع يا مجدى ، مارأيك لو أتنى مثلا .. مثلا
يعنى ، كتبت ورقة لنى ابنة الناظر .

— ها .. ابعدين ؟

— وطلبت منها أن تنتظرنى فى مكان معين لأن عندى كلاما ..

— لا يا صاحبى ، لقد أخطأت .. بنات الكفر لا يفهمن هذه
الطريقة ، انهن غير بنات مصر .

— أهكذا ؟

— طبعا يا صاحبى ، لكن .. هل كتبت لها هذه الورقة فعلا ؟
— نعم .

— أخطأت بلا شك .

— والعمل ؟

— لا تذهب .

— وافرض انها ..

— اسمع ، اسمع .. يظهر ان فيه خناقة .

قالها وجرى الى الباب ، كان الرجال يهرولون وعلى وجوههم
خيوط الشر والغضب المستطير .

سأل مجدى أحدهم : ماذا حدث يا مغاورى ؟

لكنه لم يلتفت اليه ، بعد لحظات علا الصراخ وسمعنا من يقول :

— جابر شيخ الخفر انضرب بالنار ، جابر شيخ الخفر ٠٠ ١
جابر ٠٠

جربنا معهم حتى وصلنا الى الجانب الغربى من القرية حيث
الجبانة التى يمر أمامها طريق ترابى وتحيط بها حقول الذرة ، ومع
أن الجبانة لا تبعد كثيرا عن القرية الا أن المكان يوحى بارتكاب
جريمة وسرعان ما تجمع من سكان القرية عدد هائل تنفست
أحاسيسهم بين الشماتة والحزن ، والجميع لا يخفون آراءهم فتتأثر
الكلمات عالية أحيانا ، هامة أحيانا أخرى :

— قتلوه أولاد هندأوى ١٠

— والله ماتت لهم على خير أبدا ، لازم قودهم •

— جابر مازال حيا ، الرصاصة جاءت فى فخذه •

— ليتها جاءت فى قلبه •

— يمهل ولا يمهل •

— صحيح ، لك يوم يا ظالم •

— ياترى من الذى ضربه ٢٠

— واحد شعبان من لبن أمه •

لاحظت أن مجموعة من الرجال ينتشرون بين المقابر وأعواد
الذرة ، يحومون بالسلاح بحثا عن الجانى ، لكنهم اختفوا عندما
وصلت سيارة البوليس وبعدها مباشرة سيارة الاسعاف ، كانت
الجثة ملقاة على قارعة الطريق ، يحيط بها لفيف من أقارب شيخ
الخفر وأصدقائه يحاولون كتم الزيف ، فحسه وكيل النيابة ،
قام الجنود بتفريق الناس وابعادهم ، ثم حاصروا مكان الجريمة ،

مرت لحظات من الترقب ، تحركت سيارة الاسعاف بعد أن وضعوا فيها شيخ الخضر وسط عاصفة من الصراخ ، أطلق رجال البوليس عدة رصاصات فى الهواء ، فجاء الرد من داخل المقابر ، طارت فوق رؤوسنا رصاصة طائشة ، تأكدنا من أنهم سيقبضون على الجاني ، ضرب الجنود دفعة أخرى من الطلقات فى الهواء ، لكن الجاني الآخر لم يرد ، تسللوا الى احدى المقابر المظلمة على الطريق ولم يمض وقت طويل حتى أذهلتنا المفاجأة عندما خرجت من هذه القبرة سعاد المجنونة بشعرها المنكوش وثيابها القذرة تحمل البندقية أم روحين .

— ٢٥ —

جلست على شاطئ بحر « موسى » ، تحت شجرة الصنصاف ، ارتقب وصولها بين لحظة وأخرى ، مرت بخيالى فكرة أنها قد لا تأت لكن وجهها المشرق تجسد لىمنى على صفحة الماء الرقاق ، فصرحت مع شريط الأحلام الذى لا ينته ، تنبته على صوتها العنب :

— أستاذ كمال .

— أهلا « منى » .

— آسفة ، انى تأخرت عليك .

— لا .. أبدا ، تعرفى يامنى ، أنا مهما حاولت أن أصف لك

سعادتى بهذا اللقاء ، فلن أقدر لأن كل كلمات الدنيا لا تكفى .

— ياه .. انت شاعر حضرتك ١٢٠

— أنا لو فى يوم قلت الشعر ، فالفضل يرجع لك .

- اسمح لى .. أنت تبالغ ..
- أبدا .. صدقنى ، تخيلى بچار تائه ظهرت له من بعيد فسارة عالية ، عصفور غريب ولقى حبيبا يؤنسه •
- ياه .. أنا كل هذا ؟
- بالنسبة لى فانت أكبر وأجمل وأهم من كل هذا •
- من يسمعك يظن أن البلد ليس فيها بنات •
- من البلد كلها عيناي لم تعشقا الا أنت ، وقلبى لم يخفق الا بحبك وأذناى لم تسمعا الا صوتك •
- متى ستطلبنى من أبى ؟
- هه ، أطلبك ؟
- ألن تخطبنى ؟
- طبعا .. طبعا ، لكن أنت مستعجلة على الخطوبة لماذا ؟
- لازم علاقتنا تبقى رسمى ، أم أننا سنظل نلتقى هنا ؟
- أفهم من ذلك أنك لاثنتين ..
- الثقة حاجة بينى وبينك •
- يعنى ايه ؟
- يعنى لازم نمشى على سليم •
- وهل نحن الآن على غش ؟
- بالعربى كل صديقاتى تلبسن دبل الخطوبة •
- كلهن ؟
- آه كلهن ؟
- مرت لحظات من الصمت الحزين ، هى ترمى الحصى فى الماء

ينبعث منه صوت عميق وأنا أفكر بشيء من الحيرة : « معها حق .. لكن أنا .. أعمل إيه ؟ مرتبى يكاد يكفى ، هل أمتنع عن مساعدة أخى ؟ لا ، لا يمكن ، لست جاحدا .. طيب أعمل إيه ؟ هي الآن تتحدث عن الدبلة وساعة الجدي يبقى فيه أساور وسلسلة وهم ثقيل ..

— أستاذ كمال ، سرحت فى إيه ؟

— هه ، اسمعى يامنى ، أنا لا أريد أن أفرحك بدبلة لأن المشكلة أكبر من دبلة الخطوبة .

— مشكلة إيه ؟

— مشكلة ما بعد الخطوبة ، مسئولية الزواج .. الواحد يجب أن يستعد لتحملها أولا ، أنت مثلا لم تكمل تعليمك بعد .
— ابنة خالتى أكملت دراستها الجامعية بعد الزواج .
— لكنه أسلوب خاطيء .

— وأنا ليس عندي استعداد أن أجىء الى هنا بعد ذلك ، لو أن أبى رأى لقتلنى .. عن اذنك . تركتني وذهبت ، دارت بي الدنيا ، لم أدر كم من الوقت مضى وأنا أحلم بالاعارة ، الثروة ، الزوجة ، البيت ، السيارة ، الأولاد .. تسع رقعة أحلامى ، فتهتز وتتأرجح على صفحة الماء .

— ٢٦ —

كان جالسا على الكنبه وفى يده مبسم النارجيلة ، نظر الى شذراء دخلت قائلا : السلام عليكم .

لكنه لم يرد ، لاحظت أنه يفكر بغضب ، سألته : مالك

يامجدنى ١٠

— أين كنت الآن ١٠

— كنت فى المركز وسيطلبوك للشهادة •

— يعنى خلاص ، أبو العريف طالع تجرى على هناك ١٠

— وايه لزوم الغلط ١٠

— هو أنا قاعد هنا « طرطور » ١٠

— وانت مالك ١٠

— بقى جزاءى انى لممتلك من الشارع وسكنتك ••

— نفسى أعرف افت ••

اخترقت مسامعنا صرخة حادة انبعثت من المنزل المقابل ، كان أبو دعبس ممددا على الأرض ، غائبا عن الوعي ، تجمع نفر من الجيران ، قال أحدهم : بصلة : هات بصلة يا أم دعبس • جريت بسرعة فأحضرت زجاجة الكولونيا ، مرت لحظات صعبة ، أفاق الرجل فتفلسنا الصعداء ، خرجوا واحدا تلو الآخر بعد أن هناؤا على سلامته ، احتضن طفليه وجعل يقبلهما ويمسح دموعهما بطرف جلبابه ، قال لزوجته : أجر يا أم دعبس أعملى الشاى •

التفت الى : مرحبا يا أستاذ كمال •

— كيف حالك الآن ١٠

— نحمده على كل حال •

كان منظرا مؤثرا للغاية عندما قام الطفل الصغير يقبل والده مرة أخرى ويحتضنه بيديه الصغيرتين ، برق اللمع فى عينيه الذابلتين ، أخرج حافظة نقوده قائلا :

— خذ يدعيس ، اشتر فول سودانى وكل انت وأخوك •
تهلل وجهى الطفلين بسعادة غامرة وخرجا الى الدكان ، لكن
دعيس رجع بسرعة وقال لى :

— الحق يا أستاذ ، فيه عسكرى على بابك ومعه عاشور الخفير •
قابلى مجدى بنبرة ساخطة : تعال يا أفندى ، عرفنى ، قلت ايه
فى المركز ؟

تجاهلته وذهبت الى العسكرى مستفسرا : خير يا شاويش ؟

— مجدى الطاهر مطلوب فى النيابة •

— رد على ، قلت ايه عنى ؟

— اذهب يا مجدى وانت مطمئن ، لم أذكرك بسوء •

— طيب يا جده ١٠ لك روقة وصبرك لما أرجع •

أطلق هذه العبارة بنبرة تهديد وهو يمسك ذقنه ومشى ينفخ من
شدّة الغيظ •

— ايه الحكاية يا أستاذ كمال ؟

قالها أبو دعيس بنوع من الدهشة واستطرد : تعال ، ادخل من
الشارع •

جلسنا فقال بشيء من اللفه : حصل ايه بينك وبين الذى اسمه
مجدى ؟

— أبدا ، ذهبت الى المركز فأدليت بمعلوماتى عن مشكلة سعاد
وعند خروجى من المركز رأتنى أم سعد :

— امرأة ملعونة ، لا تبلى فى فيها النولة ١٠

— فعلا •• هى أبلغت مجدى قنار على وعملها حكاية •

- الذى أكل لحمة نيئة توجهه بطنه • ١
- مسكينة سعاد ، تعذبت كثيرا •
- المهم أنها طلعت رجلا •• ليست كالتى عندى ، تصور انها
- قرفت منى • ١
- من هى • ٢
- أم دعبس •• أصبحت الآن تشتم الأولاد وتتمنى لى الموت •
- لا يارجل ، لا تصلق •
- أصدق ١٢٠ أنا سمعتها بنفسى •

— ٢٧ —

- فوجئت عند دخولى من ناصية الشارع بأن كل حاجيائى ملقاة
أمام الباب ، أحسست بانقباض وتملكتنى الحيرة ، رآنى فنظر فى
الأرض وجمل يهز ميدالية فى يده بمصيبة •
- لماذا يامجلى • ٢
 - اطلع من سكات وابحث عن مكان آخر •
 - أنا عملت لك ايه لكى تطردنى • ٢٠
 - قصر الشر واخرج •
 - اخرج الى أين • ٢٠ انتظر حتى أجد غرفة •
 - اطلع ياخائن العيش والملح ، أنا ، أنا تبلغ عنى ، أنا أسرق
 - سعاد الجمعية ، هيا •• هيا •• أغرب عن وجهى •
 - قالها بنبرة مرتعشة زاعقة واتنفض واقفا يشيح فى الهواء كثور
 - هائج • ذهبت الى فتحى صاحب المنزل ، دقت الباب فخرج وهو

يكمل مضغ لقمة فى فمه ، مد يده قائلا :

— أهلا كمال بيه ، حماك تحبك .. تعال الى الغداء ، تفضل .

— شكرا يافتحى .

— اعملها مرة ولا تكسبنى .

— فيه حاجة أهم .

— خير جرى ايه ؟

— مجدى طردنى .

— طردك . ! طردك كيف ؟ ! كان بيته ؟ اخص عليه وعلى أصله .

— رجعت الآن من المدرسة فوجدته قد رمى حاجياتى فى

الشارع .

— أما أنه عديم الدم صحيح ! تعال معى ..

كان الباب مغلقا ، دق قتحى عدة مرات ونادى : يامى مجدى ،

يامجدى ، مجدى .

لكن أحدا لم يرد ، التفت الى وقال بغیظ : « هرب الجبان » .

— وبمدين ، أعمل ايه ؟

— منتظر حتى يرجع .

— الله ! انت ماشى ولا ايه يا أستاذ كمال ؟ !

قالها أبو دعبس الذى كان عائدا من حقله ، يرتدى قميصا أبيض

مزهر ، قوقه صديرى أخضر .

— المقترى طرده .

وضع الناس عن كنفه وقال برة حزن حقيقى :

— طردك . ! . آه النذل ، هو أنت « وش بهدلة » ! المجرم .

تملكنى شعور بالمهانة والاحباط ، أحسست بصداع حسياد ،
تمنيت لو أئننى لم أقض عمرى فى الدراسة ، لو كنت فلاحا مثل
فتحى أنعم براحة البال والحياة الهنيئة المستقرة ، اتشلىنى أبودعيس
من موجة الاحباط حين قال وهو يشير الى سطح بيته :

— أستاذ كمال ، سأخلى لك المقعد لحد ماربنا يفرجها •

كان « المقعد » عبارة عن حجرة صغيرة فوق السطح مبنية بالطوب
للأخضر ، لها شباك ضيق والباب قصير بلا « ترباس » •

قاموا باخلاتها من الأجولة والصفائح والجرار المختلفة الأحجام
ونظفتها أم دعيس •

ثم رشت أرضيتها بالماء •

لقلنا حاجياتى فيها ، أحسست بارتياح وقلت لنفسى :

— هى على كل حال أفضل من معاشرة ذلك الوغد •

فكرت فى أن أركب للباب قفلا ، لكنى خشيت أن يفسروا ذلك
بأننى لا أآتمنهم على حاجياتى •

— ٢٨ —

دفعت الباب ودخلت ، فوجدت الغرفة نظيفة ومرتبة بشكل
مريح ، بدأت أغير ملابسى ، لاحظت أن الملابس التى تركتها معلقة
على الشئاعة غير موجودة ، خرجت الى مسقط السلم وقاديت :

— دعيس .. يادعيس •

— ليمس هنا يا أستاذ كمال ، أى خدمة ؟•

— ملابسى ••

— عند المكوجى وستصل حالا •

— طيب ، شكرا .

شمست رائحة كريمة ، تهب في أركان الغرفة من حين لآخر ،
ظننت أنها تأتي من الخارج ، فأغلقت الباب والشباك ، لكنها
استمرت ، لجأت الى الكولونيا فلم تجد .

سمعت دقات خفيفة على الباب ، فقلت : أدخل .
أخذت منها الملابس قائلا : أنا شاكر جدا .. بس أرجو أن
تكون هذه آخر مرة لأنى أحب أن أغسل ..

— لماذا تفرق بيننا هكذا ؟ ألسنت واحدا منا الآن ؟

— لكن الواحد لازم يكون عنده نظر .

— الحمد لله أنك قلتها بلسانك .

— قصدى ياست أم دعيس أن وراءك أعمالا كثيرة فى البيت
والغيط .

— أنت الآن واحد من البيت وعلى العموم أبو دعيس لن يبار
منك .

شمعت أن عبارتها الأخيرة تحمل أكثر من معنى ، لم أعرف كيف
أرد عليها ، حاولت أن أخرج النقود من جيبى ، لكنها أمسكت
بى بسرعة : « ماذا ستفعل ؟ المكوچى يحاسب الموظفين بالشهر »
— بالشهر ؟ طيب وثن اللبن الذى أحضره دعيس الصبح ؟

— اللبن من عندنا .

— لكن لازم أدفع ثمنه .

— حاسب الرجل بقى ، هو الذى قال ..

— الحقيقة ، جبايلكم زادت قوى .

- لا تقل هذا ، يعنى عملنا ايه ؟٠
- على فكرة .. هنا رائحة غريبة .
- أيوه صحيح ، جاءت من أين ؟٠
- قالتا وبدأت تفتش فى أركان الغرفة ، ثم نزلت تحت السرير .
- قمت بفتح الشباك ، لكى تزيد نسبة الضوء ، لاحظت أنها تتعمد
- تعرية جزء كبير من ساقها فسألتها :
- هل وجدت شيئا ؟٠
- فأر ميت .

— ٢٩ —

- كنت جالسا فى حجرة المدرسين ، منهمكا فى تصحيح الكراسات
- جاء يصفر بنفه ويعنى :
- توبة ان كنت أحبك تانى ، توبة .. بس قابلنى مرة .. صباح
- الخير يا كمال .
- أهلا صلاح .
- خلع نظارته السمكة وبدأ يسمح زجاجها قائلا : النادى وقفلوه،
- وأنت أيضا تحرمتنا من أسك ؟٠
- أنا تحت النظر يا أبا الصلح .
- لا .. طيب كنت أسأل ، أم أنك نسيت العنوان ؟٠
- مشاغل والله يا صلاح .
- صحيح ، أنت عامل ايه فى السكن الجديد ؟٠
- والله الناس طلعوا ذوق موى ، لكنى مشغول بالتحضير لرسالة

الماجستير •

- وستكون عن ماذا ؟ هتلى •
- يعنى ، تاريخ ألمانيا النازية •
- أتمنى لك التوفيق •
- شكرا يا صلاح •
- اليوم ، نحن عندنا فرح : ابن عمى سيتزوج .. ايه رأيك تانى
- معى وفرصة لتشاهد أفراح الريف •
- عقبال فرح « هند » •
- المهم أنت ، متى ستعملها ؟ •
- أتزوج يعنى ؟ ربنا يسهل • قل لى يا صلاح : ألا تعرف لى
- جمعية أشرتلك فيها ؟
- تريدنا بكم جنبها ؟ •
- عشرة مثلا •
- فيه جمعية على مدى خمسة عشر شهرا •
- عز الطلب .. ممكن أقبضها فى الأول ؟ •
- قل الثانى ، الثالث •
- ماشى ، ماشى •
- اذن فأنت تستعد للزواج •
- تقريبا •
- ومن هى سميحة الحظ ؟ •
- لا ، خليها مفاجأة •
- كانت واجهة المنزل مغطاة بعدد هائل من اللببات : حمراء ،

خضراء ، صفراء ..

أصوات الغناء تعلو وتختلط أحيانا بدقات الطبلة والتصفيق
الجماعي ، دخلنا بصعوبة لكثرة المدعويين ، وحينئذ كانت تتوسطهم
طفلة ترقص برشاقة . ردد صلاح : « عقبال عندكم جميعا » .

سرنا الى « المندرة » لكنه توقف ليصافح سيدة فى خريف العمر :
- ألف مبروك يا امرأة عمى وعقبال حجك .

أصابني الملل وأحسست بالضيق من زحام المندرة ، الدخان
الكثيف ، الثرثرة الفارغة ، كثرة السلامة ، سمعت صوتا ناعما :
عقبال دعيس يا أم دعيس .

- عقبالك أنت يا نور عيني .

- أغانيك الحلوة يا أم دعيس ..

- بس قولوا ورائي .. أمة نعيمة .. بعين ، خلى عليـوة
يكلمنى .. أمة نعيمة ..

ملت نحو صلاح وقلت : ما رأيك لو نقعد مع الشبان ..

- آه وماله ، تعال .

جفلت عندما رأنتى وتملكها الارتباك ، انتفضت واقفة ، خطفت
شالا أحمر ، لفته على وسطها ثم أنزلته أسفل سرتها وربطته ،
رفعت ذراعيها وبدأت ترقص كما لو كانت محترفة ، والجسيم
يصفقون بحرارة ويغنون : يا لع .. دلح وخل الحلو يتطلع ، يادلح
دلح ..

كانت تتمايل وتتلوى بسرعة وتهز بطنها وصدرها مع ايقباع
التصفيق بمهارة فائقة وفى وجهها بريق النشوى لكلمات الإعجاب

المتنائرة :

- يا عيني على الفن •
- آه يا وعدى ، ارحمنى يارب •
- قسم يا ولد قسم •
- يا حنين على الوسط •

— ٣٠ —

اخترقت أذنى صرخة مكتومة ، ثم آتات بكاء وارتفع صوت أبى
دعيس كالزئير ، فلننت أحدا يتشاجر معه فنزلت بسرعة ، رأيته
يركل زوجته بقسوة ، ملقيا عليها جام غضبه فى كلمات :
— يا مفضوحة ، يا خميسة ، يا عديمة الأصل ، أنت ١٠ ٠ أنت
عندك كرامة أنت ١٠ ٠
أخذته وصعدنا الى غرفتى ، جلس وهو يتنهد وينظر للاشئ ،
فقلت له :

- صل على النبى وهدى نفسك • •
- اللهم صل عليه • • أنا غلبت خلاص • • غلبت منها • •
- لا يارجل ، كل البيوت فيها مشاكل وخلاقات •
- لا يا أستاذ كمال • • ليس الى هذه الدرجة ، انها تغيرت
خالص • • هذه الأيام بالذات •
- ان قلت شرق تقول غرب •
- روق انت بس ولا تكبر الحكاية هكذا •
- أنا قلت لها : لا تدخلى بيت الذى اسمه مجدى • كسرت

كلامى وراحت عنده •

آخرة المتمة ترقص فى فرح ١٩

— أنا معك انها أخطأت ، لكن الضرب يخليها تعاند •

— هذا الصنف يأخذ على دماغه ، يمشى مضبوط •

— أبدا ، عمر الضرب ماكان علاجا •

— هى ، أصلها قرفت منى خلاص .. تمنى لى الموت ، لكنى

فاهمها ومصحصح لها قوى ..

— لا ، أنا لست معك فى هذا الكلام •

— أنا لازم أطمئن على مستقبل الأولاد .. لازم أكتب الدار

والأرض لدعيس وأخيه •

— يبقى حرام عليك •

— لا يا أستاذ كمال ، أنا لو مت اليوم أو غدا ستتزوج والأولاد

يتشردون •

— اليسوا أولادها أيضا ١٠

— لكنها اذا تزوجت ..

— ولماذا تفترض أنها ستتزوج ؟ •

— وياه يضمن ٤ •

— ياسيدى ربنا يخليك ويطيل عمرك •

— سأكتب الدار والأرض للأولاد لكنى أموت وأنا مستريح •

— ٣١ —

وضعت صينية الشاي وقالت وهى ترسم على شفيتها ابتسامة

رفيقة : وشك .. ولا وش القمر •

— الله يكرمك •

— يعنى ، لو لم تكن « منى » تحتاج اليك فى دروس الفرنساوى
لا نراك • ؟

— الحقيقة ، كانت عندى مشاغل كثيرة •

— طيب يا أستاذ كمال ، خليك على كيفك •

قالتها وخرجت ، فأحسست بارتياح وغمرتني موجة من
التفاؤل بخصوص الطلب الذى عقدت العزم عليه •

مد يده نحو الصينية قائلاً : تفضل الشاى يا أستاذ كمال •

— شكرًا •

أخذت رشفة من الكوب وأنا أفكر بعق ثم قلت : أريد التحدث
مع حضرتك فى موضوع شخصى •

— شخصى ؟ ما هو ؟

— أريد أن أكمل نصف دينى ••

— شىء جميل •

— ووقع اختيارى على الآنسة « منى » •

— منى ؟

قالها باتفعال وهو يحلق فى باستنكار ، زادت دقات قلبى ،
وجف حلقى فبلعت ريقى وأجبته :

— نعم ، هل هناك مانع ؟

— طبعًا ، انها مازالت فى الثانوية العامة •

— نعمن الخطوبة الآن والزواج يتم بعد ••

— لا، لا وهل هذا كلام ؟ ثم أن منى لازم تمشى فى مستواها .

— يعنى ايه ؟

— انت عامل ايه فى سكنك الجديد ١٢٠

— على العموم ، كلها سنة أو سنتين وانتقل الى القاهرة .

— لا القاهرة أرخص من هنا ولا السكن فيها متوفر .

— ساعتها أكون وجدت شقة هنا أو فى منيا القمح .

— لملك الشخصى ، ابن خالتها مهندس زراعى ورقضته .

— طيب ، ممكن حضرتك تسألها ؟

— هيا هانة يا أستاذ ! أسألها ؟ حلوة أسألها ١٠

قالها بسخرية وغضب مفتعل ، فقلت مرددا : أنا آسف ، آسف

جدا .

خرجت والأسى ينشب أظافره المديبة فى رأسى المثلث بالهموم .

— ٣٢ —

على غير عادتها دخلت دون أى تنبيه ، أغمضت عيني وتظاهرت بالنوم ، لكنى تابعتها من بين رموشى ، نظرت ناحيتى ثم وضعت كوب اللبن على المنضدة وغطته بورقة من صحيفة قديمة . استدارت ومرت لحظة وهى تفرس فافريها فى صدرى الذى كان عاريا اقتربت وهى تفرك أصابعها فى شئ من الارتباك وجلست على حافة السرير ، أحسست باختناق كان حجرا ثقيلا يجثم على قلبى ، ويبدو أنها كانت تدرك أننى غير نائم لأن صدرى يعلو وينخفض بشكل ملحوظ .

مدت أصابعها البضة تداعب شعر صدري وقالت بصوت حالم :
— أستاذ كمال .. يا أستاذ كمال .

— من ؟ ست أم دعيس .

— كفاياك نوم بقى .. أنت تنام كثيرا .

— من التعب .

قلتها وأنا أبادلها نفس النظرة الملتمة ، مستسلما لأصابعها الدافئة
قالت بشيء من التردد :

— أنت .. أنت ..

— أنا ايه ؟

— شعر صدرك ثقيل .

— صحيح ؟

قلتها وأنا أعصر يديها بلا وعى ، فمالت نحوى قائلة بنبرة هيام :

— صحيح .

وحينئذ التصقت الشفاه ثم تمزقت الصورة الغالية التي كنت
أستمد منها احترامى لنفسي .

— ٣٣ —

ضاقت الدنيا فى عيني ، اهتز فى راسى بعنف سلك شائك
اسمه : عذاب الضمير .

مشيت هائما حائرا بين الحقول ، تطاردنى أفكار سوداء ، توغلت
بين المزارع كالنمل أهرب من شيء مخيف أو أبحث عن الإنسان الذى
ضاع واختفى من أعماقى هذا الصباح .

استوقفتنى طفل فى السابعة أو الثامنة ، ملامحه ليست غريبة

ولكننى لم أذكّر متى رأيته من قبل ذلك ؟
كانت صور الأشياء ترتعش فى ذهنى ، قال وهو يفرق يديه
أعواد الخوص : « تعال من هنا يا أستاذ » .
رأيت الأستاذ صلاح جالسا على كوم هائل من « الردم » تحت
شجرة توت ، مشيت خلف الصبى على حافة قناة ضحلة حتى وصلنا
الى الشجرة ، فنزل واستقبلنى قائلا :

— أهلا يا كيمو .. من الذى وصف لك الغيظ . ؟

— لا أحد .

— لو أننا لم نرك كنت ستأخذ فى « وشك » وتسير على طول .

— فعلا .

— اطلع يا إيهاب ، اجمع لنا طبق توت .. مرحبا يا كمال ، لماذا

لم تأت الى المدرسة اليوم ؟

— تعبان والله يا صلاح .

— تعبان من ايه ؟ انت مثل الحصان .

— أشعر بضيق وملل .. الحياة أصبحت فارغة باهتة قاحلة ..

— بس ، تبقى حالة حب يابطل .

— هى حالة غلب وانت الصادق .

— غلب ؟ آه ، قصدك غلب من حياة العزوية ، عال قوى ،

يبقى فيه تقدم نحو الزواج .

— قل لى يا صلاح ، لو كنت مكاني .. تفكر فى الزواج من ابنة

الناظر ؟

— ابنة الناظر .. لا طبعا .

— لماذا ؟

— لأنه رجل انتهازى وامراته معلقة من عجزتها مثل الباذنجانة .
— لكنى لن أتزوجه هو ولا ..

— سيجزرونك ، امرأتها جاهلة وترى ان ابنتها تعلمت وحصلت
على الشيء الذى افتقدته هى وبالتالي فان عملية الزواج لا بد أن
تكون فحمة جدا تليق بمقام ابنتها الفرخة بكشك .

— ها . ها . الله يجازيك يا صلاح .

— أنا من البلد وأعرفهم عن قرب .. لكن آفت ، يستحسن أنك
لا تأخذ كلامى كشيء مسلم به ، وجرب حظك .
— أنا فعلا جريت .

— والنتيجة ؟

— رفضنى .

— عرفت ؟ وطبعا انت لم تكن تتوقع أن يرفضك .
— على الأقل لم أتوقع أن يرد على بسخرية واحتقار كما
حدث .

— لا ، انه رجل عديم الذوق .. يأكلها ، يعنى كانت السفيرة
عزيزة ! . ولا يعنى الذى خلقها لم يخلق غيرها ! .

— موقف غريب من رجل ، المفروض أنه تربوى .

— نصيحة منى ، لا تتزوج من الأرياف .

— هل تظن الزواج سهلا فى المدن ؟

— ليست النظرية ، انما هناك ستجد من يفهموك ويتماولون
معك ، هل تصدق أننى غارق فى الديون حتى الآن ؟

- بسبب تقاليد الزواج ؟٠
- أليست مهزلة ؟٠ الايمان يتزوج بحثا عن السعادة فيجد نفسه واقعا فى سلسلة من المشاكل ، تحيل حياته الى جحيم .
- الآن عرفت لماذا يدلل الآباء أبناءهم حتى تقعد أخلاقهم .
- الواحد منا يتعذب حتى يخلف ابنا فكيف يقسو عليه ؟٠
- وأيضا لأن الآباء مشغولون بالعمل ليلا ونهارا لتسديد الديون .
- فعلا ، كلامك سليم .

- ٣٤ -

- تنبهت على ضحكة رنانة فيها ملامح الشقاوة ، وخفة الدم ، سمعت أم دعبس تقول :
- أسكتى يا نادية أحسن الأستاذ نائم .
- هو أستاذ بصحيح ؟٠
- أيوه أستاذ فى المدرسة الاعدادى .
- كبير فى السن ؟٠
- آه يا أختى منك .. قبل المغرب سيخرج وترينه .
- ارتسمت فى خيالى صورة نادية كفتاة جريئة وجميلة ، وارتب الشباك بحذر واختلست نظرة فرأيتها من ظهرها ، كانت مشسوقة القوام يتدلى شعرها الكستنائى بهيئة ذيل الحصان ، يكاد الدم يقفز من كعبها المتوردين ، ومع أنها ترتدى الثوب الفلاحى الأسود الا أنها ليست ريفية ، خطرت ببالى فكرة أن أملا الدورق من

الزير لكى أراها عن قرب ، سرحت شمرى وفردت ياقة البيجامة
ثم خرجت ، التفتت فقلت : مساء الخير .

— مساء النور عليك ، والنبي نحن قلقنا نومك ١٠

— لا ، أبداً .. حتى صوت الأنسة أجمل من صوت البلايل .

— شكراً .

قالتها مغلفة بابتسامة رائعة فتشجعت وقلت : أتكلم بجد .

واستدرت الى أم دعيس قائلاً : الأنسة .. تقرب لكم أيه ٢٠

— أبو دعيس .. خالها .

— آه ، أهلاً وسهلاً ، من مصر يا انسة نادية . ٣٠

— لا ، من هنا .

— ياه ..! وياترى فى سنة أيه ٤٠

— تقول انت فى سنة أيه ٥٠

— أقول فى الجامعة مثلاً .

— لا .

— اذن فانت موظفة .

— لا .

وحينئذ سمعنا صوته ينادى من الشارع : افتح يا دعيس .

— خالك جاء يا نادية .

قالتها أم دعيس ونهضت بسرعة ، فنزلت وراءها ، ولا أعرف
كم من الوقت مضى وأنا واقف أسترجع كلمة « لا » التى خرجت
من بين شفثيها تحمل شحنة عاطفية هائلة ، فترن فى أذلى ينغمة
رقيقة تدغدغ كل مشاعرى . غيرت ملابسى ونزلت ، كان جالساً

على الأريكة يرم المنزل الخشبي باصبعي الإبهام والسبابة ، رآنى
فوضع المنزل ووقف مرددا : أهلا كمال أفندى ، تفضل ... كيف
حالك ؟

— الحمد لله .

— ودعيس عامل إيه فى المذاكرة ؟

— دعيس الآن ممتاز ، يستطيع قراءة الجريدة .

— الجريدة ١٠ يا صلاة النبى يا أولاد .

— وفى العام المقبل باذن الله سأقدم له فى امتحان الابتدائية
فيقفز من خامسة الى سادسة .

— جزاك الله كل خير يا كمال أفندى ، على العموم انت
تعتبره ابنك ومسئول منك .

— أن شاء الله سيكون له مستقبل عظيم .

— هذا بفضل ربنا ورعايتك له .

— ربنا يتولانا جميعا برعايته .

مرت لحظة وأنا أفكر فى صمت ثم قلت : « عم أبى دعيس ،
الآنسة التى كانت عندكم فى سنة إيه ؟ »

— نادية . ؟ انها ليست فى المدرسة .

قالها وهو يتسم فعقت : ظننتها طالبة .

— لا ، هى تركت المدرسة بعد الابتدائية .. أصلها مدلة .

— طبعا هى من العائلة ؟

— ابنة أختى لزم . وأنا الذى ربيتها هى وأختها وأخيها الذى
يعمل الآن فى السعودية .

- يتيمة مثلى • ١
- أبوها ربنا « افكره » وكانت لاتزال ترضع •
- طبعا هي ليست مخطوبة • ٢
- أمشى لك سكتها • ٣
- أشعر أنها تناسبني •
- أنت ابن حلال وتساهل كل خير ، قم بنا نكلم أختي •
- كانت سيّدة محجبة تميل الى السنة ، استقبلتنا بحفاوة بالغة ،
- قدمنى لها ثم فاتحها فى الموضوع فقالت :
- من ناحيتى ، فأنا موافقة .. لكن المهم هى ، عين اذنكم
- اسألها •
- غابت عنا بضع دقائق ثم رجعت تبسم وقالت : مبروك يا أستاذ
- كمال • لكن قبل مانملن الخطوبة واجب نأخذ رأى أخيها •

— ٣٥ —

- طلب لى فنجانا من القهوة وابتسم قائلا : « عندى لك مفاجأة
- سارة ، حزر ، فزر ، .. حتى انتهى من كتابة هذه المذكرة » •
- بدأت أرتشف القهوة ، بينما الأفكار تقفز الى رأسى وأنا
- استعرضها كما لو كانت صفا من الجوارى الحسان يتمايلن ويرقصن
- على أعذب الألحان ، مرت لحظات وهو منهمك فى الكتابة ثم وقف ،
- وهو يرتب الأوراق داخل ملف ، التفت الى وقال :
- انتظر ، سأقدم هذه المذكرة الى المأمور وأرجع لك حالا •
- قلت فى نفسى : « بما أنها مفاجأة سارة فلا داعى لأن أجهد

تفكيرى » • أخذت مجلة كانت على المكتب وتصفحتها حتى رجم

النقيب سبير وبادرني : هل عرفت المفاجأة ؟

— ايه ، معاد ستأخذ براءة •

— قلت لك مفاجأة سارة لك •

— قلها وخلصنى •

— يعنى غلب حمارك ؟ اسمع ياسيدى ، أنا وعدتك أن أبحث

لك عن كتب تساعدك فى رسالة الماجستير •

— نعم هذا حصل •

— وقد وجدت لك مجموعة قيمة •

— المهم أنها تكون فى نفس الموضوع •

— أيوه فى ضميم الرسالة •

قَالَهَا وفتح أحد الأدراج فى مكتبه وأخرج منه أربعة كتب ،

قدمها لى واحدا تلو الآخر : « خذ ، هذا كتاب : أسرار الحركة

النازية وهذا : تاريخ ألمانيا النازية وهذا : هتلر وايفا براون وهذا :

النازية تتحدى العالم ، ثم هذا : كفاحى بقلم هتلر نفسه • »

— عندى كتاب كفاحى •

— يستحسن أن تطلع على هذه النسخة لأنها ترجمة حرفية

ومضافا إليها ملحقا به معلومات هامة عن حياة هتلر •

— هى فعلا مفاجأة سارة وأشكرك على هذا الاهتمام •

— وإذا وقعت فى يدى كتب أخرى اتصل بهذا الموضوع

سأحضرها لك •

— شكرا •

- لا ، العفو ، شد حيلك بقى وعقبال الدكتوراه •
- بأذن الله •
- أعتقد أنك من حسن حظك أنهم عينوك هنا •
- لماذا ؟ •
- لأنك لو كنت تعمل فى القاهرة كان وقتك سيضيع بين الأصدقاء •
- عموما كل مكان له ميزة وله عيب •
- هنا ممكن تنتهى من رسالة الماجستير فى وقت أقل •
- ربنا يسهل •
- انما ايه السبب انك اخترت هتلر تعمل عنه رسالة الماجستير ؟ •
- لا ، الرسالة ستكون عن ألمانيا تحت قيادة هتلر وكيف أنها تحولت من دولة منهاره الى دولة عظمى تحت قيادته ، هذه هى النتيجة التى تمنى •
- لازلت أرى أن الموضوع غريب عنا •
- نحن دولة نامية ، يعنى فى مرحلة التكوين وألمانيا تحت قيادة هتلر كانت أيضا فى مرحلة بناء أو اعادة تكوين اذن مهم لنا جدا أن نعرف كيف أنجزوا نهضتهم •
- لذلك وصفوا هتلر بأنه ساحر مجنون •
- على أى حال هو كان انسانا عظيما ولذلك اعتبروه من المائة الخالدين رغم دمويته •
- على ذكر الدم ، جابر طلع من المستشفى •
- وأين ذهب ؟ •

- فى السجن ، أتحب أن تراه ؟
- لا ، يغور .. انما سعاد موقفها ايه ؟
- شروع فى قتل •
- لكن جابر هو قاتل زوجها •
- وليكن ، القانون هو القانون وكلاهما سيأخذ جزاءه •
- يقولون الرحمة فوق العدل •
- اذا كان القاضى رحيمًا ستقضى ثلاث سنوات فى السجن •
- وجابر ؟
- اذا أفلت من حبل المشنقة فأمامه المؤبد •

— ٣٦ —

كانت زغرودة طويلة رابانة بدأت بها أم دعبس وهى توزع أكواب الشربات ثم تبعها سيل من الزغاريد وكلمات التهنئة والأمنيات الحلوة • وبطبيعة الحال لم تكن سعادتى أقل منهم ، كل مافى الأمر أننى كنت أفكر بطريقة مختلفة •

أحضروا الخطاب الذى وصلهم من السعودية ، كان خطابا قصيرا ينم عن تفكير ناضج ، لكنى بعد ماقرأته ، اتابتنى أحاسيس متضاربة وشردت قليلا : « دخلت فى الجد يا أبا كمال ا » • ورطت نفسك يا جدد ا • تسرعت وهم أسرع منك ا • فلومك قليلة ويلزمك وقت ••

تبتهت على صوت أبى دعبس يسألنى : « خير يا كمال أفندى ، الخطاب فيه حاجة • ؟ »

— لا ، أبدا • الخطاب مهذب جدا •
 — ألف مبروك وربنا يتم بخير •
 — عقبال دعبس وأخيه •
 مرت لحظات صعبة وأنا أفكر بقلق والوم نفسي : « كان يجب أن تستعد أولا » •

اتتهزت فرصة خروجهن لاستقبال بنات الجيران وقلت له :
 — وبعدين ياعم أبى دعبس ؟ انه يقول فى الخطاب : سأصل بعد شهر وتتم اجراءات الفرح خلال أجازتى ، قايه العمل وأنا من الناحية المادية ••

علت شفثيه ابتسامة تفيض حبا وحنانا ثم قال وهو يربت على كنفى :
 — اطمئن يا أستاذ كمال ، أنا سداد برقبتي فى كل ماتحتاجه ،
 نادية ابنتى وأنت ابنى •

— ٣٧ —

رأيتهم يتزاحمون على جريدة بين يدي صلاح الذى أهملك فى تصفحها بطريقة توحى أن هناك شيئا هاما • قفز الى رأسى احتمال أن يكون هذا الشئ هو كشف الأمانة ، فتحت جريدتى بسرعة ، قلبت صفحاتها فلم أجد أية كشف •
 ذهبت اليهم فسمعت محسن يقول بنبرة تهكمية : « أنت متأكد ياعم محمود أنك كنت مستيقظا • ١٩ »
 — والله سامعها من الراديو يامحسن به ، كنت أتناول فطورى

ولقيت المذيع يقول :
فيه ناس خضر وقموا فى أمريكا وقال أنهم من النجوم البعيدة
قوى •

— حاجة غريبة ١٠

.. هذا الكلام لو صحيح يبقى العالم كله فى خطر •

— تعال ياكمال ، جريدة ايه التى معك ؟

— الأخبار ولم أقرأها بعد •

— طيب عن اذنك لحظة •

خطفها وبدأ يتصفحها ، ابتسم وهو يدقق النظر فى الصفحة الثانية
ثم قال بنبرة سعادة :

— صح ، صح .. هذا هو الخبر : فوينكس — وكالات الأنباء:

عثرت السلطات الأمريكية — فى أعقاب سقوط جسيمن غريسن
طائرين — على جسيمن لجسدين من خارج كوكب الأرض ، لهما
جلد فضى ويبلغ طول كل منهما ١٢٠ سنتيمترا ويرتديان رداء معدنيا
يبدو أنه التصق بجسديهما من شدة الحرارة ، أكدت هذا النبأ
المراقبة الأرضية للطابق الطائرة ومقرها مدينة فوينكس بولاية
أريزونا الأمريكية •

— أريزونا ١٠ والله عال .. عال خالص ، لهم حق التلامذة

لما يزوغوا ، تفضل يا أفندى أنت وهو على حصتك •

— تعال يا حضرة الناظر ، اقرأ اسمك فى كشوف الاعارة •

— كشوف الاعارة ٢٠ والله كان يبقى لك الحلاوة يا محسن •

— خذ .. اقرأ •

- أين الكشوف ؟
- يس ، اقرأ هذا الخبر .
- ايه ١٩ جئين من خارج كوكب الأرض ١٩ ياساتر يارب ..
- احفظنا يا حفيظ .
- لكى لا تقولوا اعارة ولا اجازة ١٠
- صدقت يا صلاح . معك حق ، خلينا هنا .
- آه ، هذه البلد أحسن من غيرها .
- طلى الأقل الواحد يموت بين أهله .
- وفجأة دق جرس المدرسة فبوغت الناظر وقال معاتبا : يا أولاد
- الـ .. ايه ! . الحصّة خلصت فى الكلام ؟
- يا أولاد خلوا عندكم ضمير ، الواحد يكون فى نصف ثيابه عندما
- يأتى المفتش .

— ٣٨ —

وجدته مهموما غابس الوجه ، يكتب بضعة أسطر ويمزق الورقة
ثم يكتب فى غيرها ويمزقها .. ظننت أنها هموم العمل . مرت
لحظات وهو يكرر هذه العملية ويبدو أنه تنبه فالتفت الى وحاول
أن يتنصم :

- أهلا يا كمال ، كيف حالك ؟
- الحمد لله .
- لماذا لم تشرب الشاي ؟
- ساخن جدا .

- زمانه برد ، اشرب •
- أرجو ألا تكون مشغولا يوم الخميس القادم •
- لماذا ؟•
- لكى تشرفنى بحضور حفل زفافى •
- صحيح • ؟ ألف مبروك •
- الله يبارك فيك •
- انما قل لى ، هى موظفة ؟•
- من ؟•
- عروستك ؟•
- لا ، هى ست بيت •
- أحسن حاجة ، تعرف اننى واقع فى مشكلة حاليا بسبب
وظيفة زوجتى •
- كيف ؟•
- صدرت حركة التنقلات ووجدت نفسى منقولا الى أسبوط •
- ياه .. متى ؟•
- سأنفذ النقل بعد شهر ، المهم ألتى ذهبت الى مديرية التعليم
وطلبت نقل زوجتى لكى يجتمع شمل الأسرة ففوجئت بالروتين
والبيروقراطية •
- لابد أنهم قالوا : انتظر الى العام القادم •
- أنا خرجت عن شعورى وكنت سأضرب الموظف •
- العيب فى اللوائح •
- ملمونة اللوائح ، المفروض أنها موضوعة لحل المشاكل أم

لتعقيدها ؟

• فى هذه اللحظة وقع بصرى على لوجة جميلة معلقة على الحائط خلف مكتبه فقرأتها :

— وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم •
— هذا صحيح ، لكن الأولاد ، صعب أبى أغيب عنهم مسدة طويلة •

• حاول مع المسئولين مرة ثانية •
— طبعا سأحاول ، لكن لو فشلت سأجعلها تقدم استقالتها •

— ٣٩ —

عندما دقت الباب سمعته يقول : افتحى لزوجك يانادية •
كان يرتدى الجلباب الكشمير القضااض والطاقيّة الوبر وغبار السفر يعلو وجهه • دخلت قائلاً : السلام عليكم •
— سلام ورحمة الله وبركاته •• حمد الله على السلامة •
— الله يسلمك يا عم أبى دعبس •• كيف خالك يا ماما ؟
هكذا كنت أنادى حماتى ، فردت بنبرة سعادة : الله يسلمك يا بنى ، الحمد لله •

— مالك يا نادية واقفة هكذا ؟ •• الغداء بسرعة •

— عندنا فسيخ تأكل معنا أم •• ؟

— فسيخ • ١٩ من أين ؟

— خالى اشتراه من منيا القمح •

• وبعدين ياخال ، أنت جيايلك زادت هوى •

— لا بعدين ولا قبلين .. خذ .
قالها وأخرج ورقة مطوية من جيب الصديري واستطرد : أنا كتبت
الفيط والدار للأولاد .

— ألا تشعر أنك ظلمتها ؟

— من هي ؟

— أم دعبس .

— اسكت يا كمال ، أنت لا تعرفها .

كانت حماي تتكلم بانفعال بينما أطرق أبو دعبس يفكر في
صمت ثم تنهد بعمق وخرج صوته المتهدج في نبرات بطيئة .

— يا أستاذ كمال ، أنا خائف على الأولاد من البهذلة .. فيه
حلم مزعج يطاردني .

— حلم .

— وما أراه في الحقيقة يفسر الحلم .

— طيب ايه مزعج في الحلم ، احك لى .

— فيه الذى اسمه مجدى يمسك كراباجا ويضرب دعبس وزعبله
بقسوة و ..

— ضربه في قلبه البعيد .

قالتها حماي بغضب وأكمل هو بنوع من الحزن :

— وهما يكيان ويصرخان والدم يسيل على جسيمهما من أثر
الكراباج .

— هذا لأنك أصلا تكره مجدى ، تبقى هي ذنبها ايه ؟

— ستكون هي السبب في دخوله على الأولاد .

— ومن أدراك ؟

— أنا عارف ولولا انى مستحرمها كنت طلقته .

— لو كل واحد يحلم يفعل مثلك كانت الدنيا خربت من زمان .

— غدا ستثبت لك الأيام أننى على حق .

— هاهى « ماما » وقد ترملت فى سن مبكرة جدا ، لماذا لم

تزوج ؟

— واللهبقى أصابعك ليست مثل بعضها .

— يا كمال ، أسمع كلامى فأنت لاتعرفها .

هذه المرة كانت نبرة حماتى هادئة كأنها تريد أن تختتم هذه

المناقشة .

قرأت الورقة ، فكرت قليلا ثم قلت له : فيه نقطة مهمة غابت

عندك .

— ماهى ؟

— انهما دون سن البلوغ وبالتالي ستكون أمهما وصية عليهما

وحيث أن يكون بيديها ..

— لعمل أختى وصية .

— لا يجوز طالما أن أمهما ..

— أنك تريد أن تعقدها وخلص .

قالها بغضب وانتفض واقفا ممتقع الوجه .

— اجلس يا عم أبى دعيس .

— « أقعد ياسليمان — الكلام أخذ وعطاء » .

هز رأسه فى حيرة وجلس محملا فى باستغراب : ماذا تريد أن

تقول ٢٠

أولا نفسى أعرف ، هل تثق فى أم لا ٢٠

— أنت لازم تعرف انك واحد مننا وليس هذا فقط ، انما أنت مسئول عن مستقبل دعبس وزعبلة • وذنبهما فى رقبتهك ان قصرت •

— أنا فاهم هذا الكلام جيدا • واحساسى بالمسئولية يجعلنى أقول لك ان هذه الورقة لاتشفع ولا تنفع •

— بمنى ايه ٢٠

— لابد من التسجيل فى الشهر العقارى •

— ٤٠ —

بدأت تلفه بين أصابعها ، تدور بناظرها فى جوانبه تسكب فيه شماعا وهميا من خيالاتها المشوقة ، ونحن نتنظر كلامها بلهفة كلهفة الأطفال لحواذيت الجدة • همست نادية فى أذنى :
— يظهر ان فنجانك فارغ •

— بالعكس ، لابد أن به كلاما كثيرا للدرجة أنها محتارة فيه •
ولم أكد أتمى حتى قالت بنبرة ثقة : ياكمال يابنى ، فنجانك يساوى ألف جنيه •

— ياه ا • طلع ذهبيا ٢٠٠

— صدقنى فيه خبر مهم •

— اسمى طلع فى الاعارة •

— حاجة أهم •• حاجة تحطم بها أنت ونادية •

التفت إليها فابتسمت وأشارت الى بطنها ، فعرفت : آه ، اذن فهو
ولى العهد .

— أراه يجلس بينكما كبدر منور .

اخترقت مسامعنا دقائق مضطربة وسمعت لدى خروجي ألين
بكاء ، فتحت الباب فارتدى دعيس بين ذراعى والخرط فى بكاء
تشنجى ، حاولنا تهدئته . ومرت دقائق ونحن نستفسر منه دون
جلوى حتى سأله حماتى : أبوك جرى له حاجة ؟

.. ما .. م .. مات ، أبويا .. أبويا .. أبويا

دقت على صدرها وصرخت من الأعماق : يالهوى !

ثم وقعت على الأرض مغشيا عليها . بعد حوالى ثلاث ساعات
كنت قد استخرجت التصريح بالدفن وجهزنا كل شيء . ثم وضعناه
فى الخشبة وسرنا الى الجبابة ، سيطر على احساس بالتيتم كما لو
أبنى فقدت أبى اليوم فقط . ومن منطلق شعورى بالمسئولية أعلنت
فى جموع المشيعين :

— يا جماعة قبول الزاء قاصر على الدفن وشكر الله سميعكم .

وحينئذ أقبل مجدى يصاقحنى : شد حيلك يا أستاذ كمال ،
البقية فى حياتك .

— حياتك الباقية .

— اوع تكون « زعلان » منى .

— لا ، أبدا .

— لو احتجت أى شيء ، أنا تحت أمرك .

— شكرا يا مجدى .

فى نفس اللحظة وقع بصرى على حماهى التى أومات الى برأسها
وانسحبت من بين النسوة . ذهبت إليها فكلمتنى بلهجة قاسية :
ماكان العشم انك تخيب أملى ..

— أنا ؟

— أخى لازم يكون له سراق أكبر من أى واحد فى البلد .
— ولزومه ايه الـ ؟ سراق ؟ مانصرفه على السراق نصرفه على
الأولاد .

— البلد لثا سلوها فلا تجعلنا معيرة .
— لا تجعلى أنت كلام الناس يعمينا عن مصالح الأيتام .

— ٤١ —

فى البداية لم أعرفه ، أحسست بشيء من الأسى وأنا أنظر إليه ،
كان يرتدى جلبابا قذرا ممزقا ، العرق والتراب على وجهه ، الطين
الأخضر يعلو قدسيه :

— أهلا يادعيس ، ماذا تفعل ؟

— أحول سباحا للغيظ .

— ألم تذهب الى المدرسة ؟

— أصل أمى ضربتنى وقالت : عندنا شغل فى الغيظ .

— طيب ، لما ترجع لازم تذاكر .

— حاضر .

دقت الباب فخرجت قائلة : أستاذ كمال ، أهلا وسهلا ...

تفضل .

لاحظت أنها تهتم بنفسها أكثر من ذي قبل • دخلت لكى تفتح
باب المندرة فقلت لها :

— تعالى : هما كلمتان سأقولهما وأمشى •

— لا والنبي لتشرب الشاى •

— يا أم دعبس ، حرام عليك ماتفعلينه فى الولد •

— الولد ، من هذا ؟ •

— ابنك دعبس •

— آه ، ابنى أنا •• يعنى أنا حرة فيه وعلى رأى المثل ••

— يا أم دعبس خسارة الولد يضيع مستقبله •

— ماكنت بوصى عليه •

— أهكذا ؟ طيب ايه رأيك أن المرحوم يأتى الى فى المنام

باستمرار ويوصينى عليهما •

— وماله • ابق بالمره خل المرحوم يزرع لنا الأرض ا

— يا شيخه ، حرام عليك •• أنت قلبك حجر ••

— قل لى ، اعمل ايه اذا كنت لم أجد من استأجره ليزرع

الأرض ؟ •

— ازرعها شرك •

— بدلا من أن أشارك •• أتزوج أحسن وعلى رأى المثل : ظل

رجل ولا ظل حائط •

— أهكذا ؟ •• ويأتى من هذا ؟ •

— صاحب القسمة والنصيب •

— طبعا مجدى •

— وماله مجدى ٩٠ —

— أهو الذى سيزرع الأرض ١٩٠ —

— على الأقل كاتب الجمعية وآلف واحد يتمنون خدمته .

— طالما أن الأمر كذلك فاعلمى أن المرحوم كتب الأرض والبيت

لدعيس وأخيه .

حضت شفيتها السفلى وعقلت ما بين حاجبيها بشيء من الفيظ

وهي تنظر الى فى صمت كأنها تريد أن تقول : « أنت السبب » .

لكنها بلغت ريقها وقالت بعد تفكير :

— على كل حال هما أولادى ومصلحتهما هي مصلحتى .

— عين العقل ، ومهم أن مجدى أيضا يعرف ١٠

— لا .

قالتها بفزع فقلت بنوع من التحدى : والله اذا كان شريك ..

— لا أرجوك ، أريد أن أستمع معه فى الحرام ٢٠

— ٤٢ —

اخترقت أذنى صرخات الوليد فتنفست الصعداء وحمدت الله

كثيرا ، خرجت القابلة وهي تبتسم .

وقالت مهتنة : ألف مبروك يا أستاذ ، الذى أعطاك يخلق لك .

— شكرا يا ام على .

رأتنى فلمعت عينها يريق السعادة وعلت شفيتها ابتسامة رقيقة .

— نادية ، كيف حالك الآن ٢٠ . حمد الله على السلامة :

— بنت .

قالتها بصوت مبحوح ، فأخرجت المنديل ومسحت حبات المرق
عن جبينها قائلا :

— بنت ولا ولد ، كلها محصلة بمضها .. المهم أنت •
— نسميها آيه ؟•

— نسميها .. اختارى أنت •

— مارأيك فى اسم « ايناس » ؟•

— آه ، على اسم بنت أختك •

— ليتها تكون مثل الدكتوراة ايناس •

— وأحسن منها أن شاء الله ، طيب أنا ذاهب الآن لكى أسجلها

فى مكتب الصحة ، ألسنت فى حاجة الى شىء من البندر ؟•

— شكرا ، لا تتأخر على •

كان واقفا أمام دكان البقالة ، التفت فتقابلت عيوننا ، حاولت أن

أتجاهله لكنه نادى على ومشينا نتحدث فقال : بس ، أنا « زعلان »

منك •

— لماذا ؟•

— دعوتك على الفرح ولم تحضر •

— الحقيقة يامجدى ، الجماعة كانوا فى حالة « وضع » ولم

أستطع الخروج •

— على الأقل كنت جئت قلت مبروك ومشيت •

— كنت واثقا أنك ستقدر موقفى •

— دائما تغلبنى بأسلوبك البليغ .. وتم الوضع والحمد لله •

— الحمد لله ، أصبح عندنا « ايناس » •

— ايناس ؟ ألف ألف مبروك وتتربى فى عزك •
عند ناصية الشارع رأيت واجهة منزل أبى دعبس مطلية بلون
زاه •

— لماذا توقفت ؟ تعال معى •
قالها مجدى وهو يشير الى المنزل أو عش الزوجية فبلعت ريقى
بشيء من الأسى وقلت :

— مرة ثانية لأنى ذاهب الى مكتب الصحة •
— عدنى أن تجيء أنت والمدام •
— بإذن الله سنأتى لأن فيه موضوع أريد أن أحدثك فيه •
— بخصوص ايه ؟ •
— دعبس وأخوه •
— لا ، اطمئن .. أنهما فى عينى •
— أمهما كانت تقسو عليهما •
— كان زمان ولن أسمح لها بذلك الآن ، تأكد ياكمال انتى
أعاملهما معاملة أب لأبنائه •
— وهذا هو عشمنا فيك •

— ٤٣ —

اقتربت من الباب فدوى فى أدنى صوت حماتى :
— أهذه أم ؟ أليس لها قلب ؟ آه المجرمة ، والله لازم أفضحها
هى والخنزير الذى معها •
دفعت الباب ودخلت فوجدتها تضع كمادات فوق عينه اليسرى :

— ماذا جرى ؟

— تعال ، تفرج .. عين الولد كانت ستضيع ، أنظر .
قالتها ورفعت الكمادة فرأيت عينه زرقاء من أثر ضربة أو لكمة
قوية ، سألته : من الذى ضربك يادعيس ؟

فتنهده وأجاب من بين دموعه : أمى هى ومجدى .
— وايه السبب ؟

— طلبت منى أروح الغيط ، قلت لها عندى مذاكرة .

— آه ، طيب .. تعال معى .

— لا ، لن أرجع لزوجها يضربنى .

— انه بيتك ، أنت وأخوك .

— لا ، سأبقى هنا .

كان الباب مواربا وصوت البكاء يختلط بزفرات الأئین ، كانت
تلطم خديها وابنها الثانى يجلس أمامها محملا فى لاشىء ومتوجعا :
— آه ، آه يابويا ، آه .. آه ..

— مالك يازعيلة ؟

— والنبى ماتضربنى باعم مجدى والنبى ..
قالها فى توسل والنعز يكحل عينيه رافعا يديه بذلة أسرى
الحرب .

— ليس مجدى يا حبيبى ، أنظر . أنظر ..

— أنا كمال يازعيلة .

— خذ يا حبيبى العملية التى تحبها .

— قولى له لا يضربنى .

- لن يضربك يا حبيبي •
- الولد حصل له ارتجاج فى المخ ، أنت عملت فيه آه •
- آه يالهوى ، يامصيتى ، يا حبيبي يابنى •
- أدخله لكى ينام •
- قم ، قم يا حبيبي لكى تستريح •
- حاضر ، بس والنبي ماتضربنى ياعم مجدى •
- اعملى حسابك ، الولد لو ظل على هذا الحال سأبلغ النيابة •

— يالهوى • يالهوى •
 قالتها بصرخة محمومة وقفزت تمسك الولد الذى كان قد اصطدم بالحائط •

- ولد ، زعبله •• انظر ، انظر الى ، ألا ترى ٢٠
- يالهوى ، زعبله ، رد على يا حبيبي ، ألا ترى صحيح ٢٠ ••
- خلاص • عميت ؟ يالهوى •• أ
- انطقى ، قولى •• عملت ايه فى الولد ٢٠
- آه يا حبيبي يابنى ، هو ، هو الذى ضربه •• أهى ، أهى ••
- هو من ؟ حبيب القلب ! أنت لو أم كباقي الأمهات كنت جافظت على أولادك وعرفت كيف تحميمهم •
- من يوم ما عرف ان البيت والأرض مكتوبان لدعبس وأخيه وهو يريد أن يخلص منهما •
- وكيف عرف ٢٠
- كان يريد تنازلا منى فقلت له الحقيقة •

— لو سمعت كلامى كان الذى جرى ماكان ، انما .. كل شيء انتهى وراح لحاله .. قومى ، قومى ياست هانم اغسلى رأس الولد بماء بارد ، قومى ياظالمة .

— أعمل ايه بس ، اعمل ايه ؟

تمتت بها وانتفضت واقفة والدموع تجرى من عينيها ، بدأت تصب الماء على رأسه وهو يصرخ ويكفى .

ثم جفت رأسه ومشطت شعره ، حلق فى بنوع من الادراك فسأته : زعبله .. من أنا ؟

— أنت الأستاذ كمال .

— شاطر يا حبيبي شاطر .

— خذ العسلية يا زعبله .. الحمد لله .

— بهذا الشكل ، أنت غير جديرة بأن تكونى أما ويستحسن أن يخلأ ملجأ الأيتام .

— ملجأ وأنا عايشة .. لا ، لا يا أستاذ كمال .

— يبقى لازم تكونى شديدة مع مجدى .

— أهلا ، أهلا يا كمال ..

قالها مجدى بنبرة خبيثة ودخل يمد لى يده وكأنه لم يسمع شيئا ، صافحته فضغط على يدي قائلا وابتسامة صفراء تعلو شفثيه :

— اجلس ، اجلس .. اعلى « شاي » يا أم دعبس .

— لا شكرا ، لا وقت عندي .

— اجلس ، عندي لك كلام كثير .

— والله أنت عارف البيت ، ابق تعال .

غلبنى النعاس وأنا جالس أمام التليفزيون وتنبهت على صوت نادبة : كمال ، قم لتنام ويستريح جسمك •

— هه ، لماذا أطفأت التليفزيون ؟•

— برايمج ملة بضيوها وأحاديثهم •

— ياه •• أشعر أن جسمى كله مفككا •

— قلت لك ماما عارفة السكة فلم ترح نفسك وذبحت معها •

— الواجب ينادية ، أنت عارفة أن مامتك حساسة قوى للحاجات المتصلة بالذوق ••

— كان الواجب أن حسين هو الذي يأتى ليأخذها •

— ما أنت عارفة أن زوج أختك رجل أعمال ومشغول باستمرار •

— هيا بنا •

ولم أكد أضع رأسى على الوسادة حتى غرقت فى النوم ورحت فى دنيا ثانية •

ملأت جرة الماء من النبع ثم حملتها ومشيت ، رأيته قادما من بعيد ، قصير القامة ، يسير فى الانحاء ويداه معقودتان خلف ظهره ، له شاربان مربعان وخصلة شعر تتدلى على جبينه ، عينان عسلتان تشعان بالذكاء ، يرتدى بذلة كحلى بلا نجوم ، قميص أبيض منشى ، ربطة عنق خضراء بها وردة صغيرة • وضمت الجرة ووقفت خلف جزع شجرة أراقبه محدثا نفسى :

— « أهذا هو هتلر ؟ فعلا هو ، لست تأنها عن ملامحه ، أيتخبىء

هنا والعالم كله يعتقد أنه اتحر ؟ !
 أهذا هو مجرم الحرب العالمية الثانية ؟ ياله من حقير ، ومع ذلك
 فهو مسكين .. سجن نفسه فى هذه الأيكة منذ عام ١٩٤٥ .. لكنه
 يتحرك بنشاط زائد وحيوية فائقة .. كيف أحتفظ بشبابه هكذا
 أكثر من ثلث قرن ؟ شئ غريب .. يا الهى ، انه متجه الى هنا ، يدقق
 النظر كأنه يرانى ، فعلا هو قادم نجوى ، يجب أن أهرب من هذا
 المجنون » .
 - كمال .

أخرستنى المفاجأة والجمتنى فى مكانى مشدوها لا أصدق
 ما أرى .
 - تعال .

قالها وهو يتسم واستطرد بنبرة فيها كثير من الود : ألا
 تعرفنى ؟

- من أنت ؟
 - أصحيح لا تعرفنى ؟
 - قل لى من أنت ؟
 - أنا أدولف هتلر .
 - وماذا تفعل هنا ؟
 - سنتعاون من أجل سلام البشرية وأعمال الخير .
 - أية أعمال تلك ؟
 - انقاذ ما يمكن انقاذه ، فالأرض مهددة بحرب عالمية ثالثة والسلام
 فى خطر .

- إذا كانت هذه ارادة الله فلا ..
- والطبيب لا يمنع ارادة الله ، لكنه يفعل ما عليه .
- وماذا عليك أن تفعله ؟
- لست وحدى ، هناك مجموعة من العلماء والمفكرين فى أجزاء مختلفة من الأرض ، يتعاونون معى فى تنبيه العالم والتحذير من الكارثة .
- أنت الآن تذكرنى « بالفريد نوبل » .. اخترع وسائل الدمار ثم ندم ورجع يبحث عن السلام المفقود ويخصص جزءا من ثروته لمن يعمل على إعادة السلام .
- حاول أن تنسى حياتى السابقة .
- لكن جرائمك لن تمحى من ذاكرة التاريخ .
- ظلم ، ظلم .. لماذا خصونى بهذه الجرائم دون بقية زعماء العالم ؟ ألا تبنى هزمت ١٩٠٠ .
- لأنك الذى أشعل الحرب العالمية الثانية .
- أبدا . ونداءاتى المدينة من أجل السلام خير دليل على أننى لست المسئول عن اشتعال الحرب .
- فمن المسئول اذن ؟
- سوف يثبت الدمار الرهيب الذى سيحدث مستقبلا أن الذى يتحمل المسئولية الحقيقية هم برايرة الغرب الأنجاس .
- ولم تتعب نفسك الآن طالما أن الدمار سيحدث لا محالة ١٩٠٠ .
- فلنتخذ مايمكن اتقاذه .
- الله هو المتخذ .

- هذا لا يمنع أن تفعل ما علينا •
- تحدث عن نفسك •
- ستندم يا كمال .. قبل ذلك خدعنى أفضل أصدقائى وعرفت معنى الخيانة • أما أنت فسوف أتقم منك ، وستندم كثيرا •
- اتركنى وشأئى ، اتركنى .. قبضتك تخنقنى ، انك تخنقنى •
- كمال ، كمال .. مالك ياخويا ، فيه إيه ؟ •
- هه ، نادية .. كابوس ، كابوس يا نادية •
- قم فتوضأ وصل ركعتين لله حتى يزول عنك •
- اللهم اجعله خيرا •
- وقى هذه اللحظة دق الباب وكانت الساعة تشير الى العاشرة والنصف مساء ، خرجت وأنا أردد باستغراب :
- من يأتى الذى جاء فى هذا الوقت ؟ •
- وفتحت الباب فقال : مساء الخير يا أبا كمال •
- أهلا مجدى •
- ممكن أدخل •
- تفضل •

— ٤٥ —

وقف يتنمر بعينه على محتويات الغرفة ثم قال ببرة تفارق :
 — دائما ذوقك سليم يا كمال •
 تملكنى الغيظ فنفتحت بشئ من الضيق وجلست صامتا ، فرمقنى بنظرة خبيثة وقال :

- يظهر انى جئت فى وقت غير مناسب •
- أنا فعلا كنت نائما •
- آه • الموضوع أصله مهم ومستعجل و •• أين الحاجة ؟•
- الحاجة من ؟• حماتى ا فى مصر عند ابنتها الكبرى •
- كنت أحب انها تكون موجودة •
- لماذا ؟•
- طيب اسمع بـكمال ، اعطنى الأوراق التى عندك •
- أوراق ماذا ؟•
- أوراق دعيس وزعبله المسجلة فى الشهر المقارى •
- ها • ها • هاى •• أعتقد أننى ساذج الى هذه الدرجة ؟•
- فهمتنى غلط يا صاحبى ، أنا قصدى أطلع عليها •
- وليس لك أن تطامع عليها •
- هل نسيت أننى مسئول عنهما وعن أمهما ؟•
- ولم أنس أنك تطمع فيهما •
- كمال يا حبيبى ، نحن أصدقاء وفيه مثل يقول : « يابخت من نفع واستنفع » •
- لست أنا الذى يطمع فى مال الأيتام •
- طول عمرك ستعيش قفلا وتموت قفلا •
- لو لم تكن فى بيتى ا •
- بقى لك بيت ياتحفة ١٩ •
- قالها باحتقار وزغدنى فى صدرى فقلت معاتبا : هى حصلت أن تمد يدك على •

— وأقتلك لو وقفت فى طريقى •

— انت يامجدى ؟ آه ياسافل ، قم ، أخرج من بيتى •

— طيب خذ •

دفعنى بكل قوته وارتمى فوقى يسدد فى ضلوعى لكلمات ثقيلة ،
وفى اللحظة المناسبة دخلت نادية ممسكة بيد « الهون » النحاسية
الغليظة ، ضربته على رأسه فوق مفشيا عليه والدم يسيل بفزارة ،
رمت يد « الهون » روقت مشدوهة تحمق فى بصت الجنون ،
حاولت أن أوقفه بلا جدوى ، صرخت بفزع :

— مات • ١٩ مات ٢٠

— هس ، اسكتى •

قلتها وأنا أمسك جبهتى من الصداع ، دارت بى الدنيا وشعرت
بأننى قد وصلت الى نهاية كل شىء ، تنبعت على صوت دعبس
الذى وقف بحدق ويفرك عينيه قائلا بنبرة من يريد أن يطمئن :

— ايه ، هو مات خالص • ١٩

سمعت طرقا على الباب ، ارتبكت ، مرت لحظات والطريق
يتزايد ، فنزلت وأنا ألث ، فتحت الباب ، كانوا بمض الجيران ،
قال أحدهم : حصل ايه عندكم يا أستاذ • ٢٠

— أبدا ، لا شىء •

— سمعنا صراخا •

— لا ، ليس من عندنا •• تفضلوا •

— شكرا ، شكرا •

كانت تبكى بنوع من الذهول ، أخذتها من يدها وخرجنا من

- الغرفة ، حاولت أن أتمالك أعصابى وأركز تفكيرى فى شىء محدد .
- اسكتى . ولا مبسوطة لهذه الفضائح .
 - كان قصدى أبعدك عنك ، ماكنت أريد قتله .
 - المهم . ماذا نفعل الآن ؟
 - هيا نضعه فى جوال ونرميه فى البحر أو نحفر وندفنه .
 - سيخرج عفريت من تحت الأرض ويرشد عنا .
 - يعنى خلاص ١٠ اهـ . اهـ . يا حبيبتى يا بنتى ..
 - اسكتى لا تفضحيننا ، اسكتى . أنا لن أتخلى عنك .
 - يعنى نقضى عمرنا فى السجن .
 - لا . سنهرب من هنا .

- ٤٦ -

عند منتصف الليل ، خرجنا تحت جنح الظلام ، نهول بخوف وحذر ، أعمدة النور ذات اللمبات الشاحبة تفرعنا كأنها المشاقق ، حركتنا المضطربة تثير شهوة الكلاب للنباح فتخفق قلوبنا بعصبية ، بكت ايناس بصوت مرتفع ، تملكنى الغيظ فقلت هامسا : « سدى فيها » . خارج القرية ، الظلام حالك ، بدأت أشعر بنوع من الأمان ، وصلنا الى كشك المرور ، كان العسكري يغط قى نوم عميق ، وقتت على بعد خطوات من مكتبه ، أفكر بشىء من الارتباك اقتربت قائلا : احم ، احم .

- من ١٠ ماذا ١٠ نعم .
- مساء الخير يا حضرة الصول .
- أهلا وسهلا ، أى خدمة ١٠
- أرجو أن تساعدنا فى ركوب سيارة متجهة الى القاهرة .
- قلتها وأنا أضع فى يده ورقة من فئة الربع جنيه ، دسها فى جيبه
- وقال : كم الساعة معك الآن ١٠
- الثانية عشرة الا ربعا .
- فيه سيارة تمر كل ليلة فى هذا الوقت ، تعال .
- قالها وخرج ينظر للأضواء الآتية من بعيد .
- كانت سيارة نقل ضخمة ، أطل سائقها محيا بصوت محشرج :
- مية مسا .
- خذ يا شربيني ، خذ الجماعة معك .
- آه وماله .
- رفعت دعبس الى الصندوق المتلىء بأجولة لم أتبين محتوياتها .
- ثم ناولته حقيبة الملابس وركبت الى جانب السائق والى يمينى
- جلست زوجتى تحمل ايناس ، أضاء كايينة السيارة ونظر الى
- بطرف عينه وهو يسأل : الى أين العزم ١٠
- هه ، نحن .. الى روض القرج .
- لا ، أنا لحد شبرا .
- ربك يدبرها .
- وايه السبب انكم تأخرتم هكذا . ١٠
- والله ، المدام .. أبوها فى حالة خطيرة .

وكانها كانت تنتظر هذه الفرصة فانفجرت فى بكاء حار ، فتأثر السائق وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله .. ربنا يأخذ بيده ويشفيه ، اسكتى يا ابنتى وخالى عندك ايمان بالله عز وجل ، ادعى له أحسن .. وأنا سأوصلكم لحد البيت » .
- ربنا يسلم طريقك .

قلتها وأنا أركز على محاولا جمع أفكارى المشتتة .

— ٤٧ —

توقفت السيارة على جانب الطريق حيث توجد خيمة شبه مظلمة ، التفت قائلاً : نمون هنا الأول ولعمر الطاسة .

وفى نفس اللحظة سمعت من يقول : شربىنى وصل يارجاله .
وخرج من الخيمة خمسة رجال حفاة يرتدون الجلابيب .
.. ألا تحب أن تأخذ شايًا .

— لا ، شكرا .

نزل متجها الى الخيمة ، وقف يتحدث مع الرجال الخمسة وأشار الى الأجولة قائلاً : كفاية عشرون الليلة .

ثم دلف الى الخيمة قائلاً بصوت مرتفع : مية مسا .
اقتربت عربة « كارو » وبدأ الرجال يحملونها من أجولة السيارة .
على الدم فى عروقى ونفخت من الفيظ :

— أليس حراما أن قوت الشعب يسرق هكذا .

— اسكت ياكمال وخلينا فى الخيمة.التى وقعنا فيها .

— ربنا يستر ، تبقى داهية لو كان مراقبا وأمسكوه ونحن معه .

- انى أموت فى جلدى من الخوف •
- مرت لحظات من القلق والتوتر حتى استدارت العربة الكارو
وابتعدت بما عليها من أجولة ، ثم خرج السائق من الخيمة حاملا
صفيحة ماء ، أفرغها فى مقدمة السيارة وركب قائلا :
- هيا بنا ، توكلنا على الله ، النهاردة كم فى العربى ٢٠
- تقريبا ٢٢ •
- لذلك تأخر القمر •
- كان الطريق موحشا تحيطه الأشجار العالية من الجانبين وضوء
السيارة يחדش الظلمة فى حياء •
- سكت برهة ثم عاد وسألنى : وأنت ، ماذا تعمل ٢٠
- مدرسا •
- الله يكون فى عونكم ، أنا أعذرکم .. الجيل طالع « مشيطن »
هذه الأيام ولا يهتمون الا باللعب والفرجة على التليفزيون •
- فعلا •
- أولادى ، وضعت أصابعى فى الشق منهم ، عندى ولد رسب
فى الاعدادية ثلاث مرات •
- المفروض يكون فيه رعاية من البيت فى المذاكرة بجانب
المدرسة •
- أنا فى شغلى كما ترى ليلا ونهارا فلا أراهم الا من الجمعة
للجمعة ولا أقسو عليهم حتى لا يكرهوتى •
- وأهمهم ٢٠

— تعبت معهم ، وبينى وبينك أتم غلبتوا الجزارين فى حكاية
الدروس الخصوصية •

— أنا شخصا لا أعطى دروسا •

— تبقى غلبانا •

— أركز كل جهدى فى الفصل •

— ومن مثلك ؟! الكل يريد أن يعيش ويتحایل فى مص دماء
الآخرين ، العيشة نار ، تعمل إيه •• أنا ومن بعدى الطوفان •

— لو كل واحد يراعى ضميره ••

— ضمير إيه ياسى الأستاذ ا ضمير إيه ، يووه ، انت ظهرت يا قرد

قطع ١٠

— نعم ١٠

— ألا ترى هذا الكونستابل ؟! •• عامل « أبونيه » معى ،
كل ليلة ينط لى مثل « أبى فصادة » • ويلهف المعلوم •

حينئذ كان الكونستابل قد سبق السيارة وأمره بالتوقف ، ثم
نزل عن الموتوسيكل وجاء يسأله :

— رخصتك وخط سيرك •• من هؤلاء ؟!

— مساء الخير يا حضرة الصول ، جماعة بلدياتى •

قالها السائق ومد يده بورقة نقدية ، خطفها الكونستابل وانصرف
قائلا : مع السلامة •



تملكنى احساس بأن أخى قد يتخذ موقفا سلبيا ، لكننى محتاج

الى بعض الوقت لكى أحدد الخطوة القادمة ، ضغطت زر الجرس مرتين ، سمعت صوت ارتطام شئ •

— من ٩٠

قالتها أشجان زوجة أخى بنبرة فيها نوع من الدهشة فقلت :
— أنا كمال •

— ألم يكن فيه نهار سيطلع ١٩٠

انفرست هذه العبارة فى قلبى كخنجر ملتهب ، فتحت الباب ووقفت ترمينا بنظرة كئيبة وتلوى شفتها السفلى بامتعاض فدخلت قائلاً : تعالى يا نادية •• أدخل يادعس •

— من يا أم وفاء ٩٠

— أخوك •

— كمال ١٠٠

قالها بمزيج من اللفظة والاستغراب وجاء مرحباً :
— أهلاً يا كمال يا حبيبي ، ايه •• الوقت متأخر قوى ، مالك ••

حصل ايه ١٩٠

— نسيت أقدم لك نادية زوجتى ••

— أهلاً وسهلاً ، كمال ، انت شكلك متغير •• ايه الحكاية ٩٠

— الحقيقة ، أنا واقع فى مشكلة كبيرة وعشمتك انك تساعدنى أو على الأقل تتحملنى حتى أجد مكاناً ••

— كمال ، حصل ايه •• قل لى •

أطلعته على ما حدث ، ف ضرب الهواء بكفه وانتفض واقفا يهز رأسه بعصبية وينظر للأشياء بتوع من الدهول ••

خرج الى البلکونة ونادى على فتمت اليه • أمسكنى من كنفى
وهزنى بقوة :

— اسمعنى جيدا ، ان كانت هى قتلت فشىء طبيعى أنها تأخذ
جزاءها ، أما أنت ••

— انها كانت تدافع عنى •

— كان ممكن تبعده عنك من غير ما تقتل •

— هى لم تقصد قتله •

— والدبة التى قتلت ما أحبها لم تكن تقصد •

— أنا لا يسكن أنظلى عنها •

— يعنى تضيق مستقبل • ١٩٠

— اذا تخليت عنها سأعيش نادما عليها بقية عمرى •

— مع الأيام ستندى •

— أنسى كيف ؟ هل أنسى انها تعذبت لأنها أنقذت حياتى •

— يا كمال ارجع لعقلك وحافظ على مستقبلك •

— مستقبلى معها ولا تنس أننى قلت للجيران : لم يحدث شىء •

— خلاص ، أنت حر •• عقلك فى رأسك تعرف خلاصك ، انما

تذكر أن لى بناتا ويهمنى أحافظ على سمعتهم •

— يعنى ايه ؟•

— لن أنتظر حتى يأتى البوليس فيقبض عليكم هنا وانفصح فى

الحقة •

— وناوى تعمل ايه ؟•

— عندما يطلع النهار سأوجز لكم سيارة تنقلكم الى ابن خالتك

فى أم المصرين ، هناك أرياف وتستطيع أن تختبئ كما يحلو لك •

— ٤٨ —

كانت صدمة قوية ملأت حلقى بمرارة الملقم ومع أننى حاولت
جاهدا الا أجعلها تؤثر على مغنوياتى الا أننى كنت خائفا أن تتكرر
من ابن خالتى ، مرت بخيالى فكرة أن تكون الجريمة قد اكتشفت
وظهرت فى الصحف بالخط العريض •

حينئذ كانت السيارة تمرق بنا فى شارع طه حسين بالجيزة ،
رأيت بائعة صحف ترتب بضاعتها على الرصيف ، طلبت من السائق
أن يتوقف ونزلت إليها : اعطنى الصحف الثلاث •

— أنت ؟ •

— الله • ا سعاد ؟ •

— أستاذ كمال •

صافحتنى بحرارة بالغة وسألتنى : وماذا جاء بك هنا الآن ؟ •

— الظروف يا سعاد • وأنت ؟ •

— أنا أبيع الجرائد هنا وزوجى بواب هذه المارة •

— زوجك ؟ •

— نعم ، رجل نوبى ظريف ودمه خفيف •

— أنت أصيلة وطنية وتستاهلى كل خير •

— أنا ملاحظة أن شكلك — ولا مؤاخنة — مبهرل ، من هؤلاء

الذين معك فى السيارة ؟ •

— زوجتى وابنتى ودعيس •

— وماذا جاء بكم الى هنا الآن ؟
— سعاد .. قلت أن زوجك من النوبة ؟

— نعم ، نعم .

— ألا يمكنه أن يساعدنا فى الهرب الى هناك ؟

— الهرب ! يا حشرتى ! أستاذ كمال .. هات الجماعة وتعال .
فى الحجرة الضيقة تحت سلم العمارة جلسنا نفكر ونستعرض
أبعاد المشكلة والاحتمالات الممكنة ، بينما انخرطت زوجتى فى
البكاء ، فأسكتتها سعاد :

— اسكتى يا عبيطة ، أنت لا كان قصدك تقتلينه ولا حاجة ، انما
هى ارادة ربنا ونفذت على يديك ، خليك يا أختى مع زوجك
ولا تقولى أمى ولا أختى ، قال على رأى المثل : أن جاءك البحر
طوفانا حط ابنك تحت رجلك .

— اسمع يا ولد العم .

قالها عم ادريس ذو البشرة الداكنة جدا ، والعمامة الضخمة ،
ناصعة البياض ، واستطرد وهو يرمقنى بنظرة ثابتة من عينيه
البراقتين كمينى القهد :

— الحياة فى النوبة الجديدة لن تنفعكم ، قاسية كثيرا ومليئة
بالوحوش المفترسة والأفاعى .

— ياه ! وبعدين يا عم ادريس ؟

— الواحات .. الواحات مناسبة كثيرا .

— وكيف نصل اليها ؟

— يا ادريس .

— نعم ياسعادة اليه •

نهض خارجا بسرعة قبل أن يأتى هذا « اليه » ويراها •
ربت سعاد على كف زوجتى وقامت : « سأترككم الآن لكى
تستريحوا ، اطمئنا ، ادرىس شهم وسيساعدكم فلا تحملا
هما » •

خرجت وأغلقت الباب كان دعبس ممدا على السرير وغارقا فى
نوم عميق ، التفت اليها فقالت : أنا خائفة •

— سعاد بالذات لن تغدر بى •

— زوجها قد يفعلها ويبلغ عنا •

— اطمئنى يا نادية ونامى لكى تريحى أعصابك حتى تدبر أمرا •

— لا ، قم أنت فاسترح على السرير بجانب دعبس •

— أنا فعلا تقسى أناام ولو خمس دقائق •

أخذت نفسا عميقا وتمددت على الحصىرة ثم أغمضت عيني •

ملأت أذنى أصوات اليكترونية مزعجة ، أحسست بارهاق

شديد ، أعصابى مفككة وشعور بالتنميل يسرى فى أطرافى

كالمخدر ، حاولت أن أقوم ، فلم أستطع ، رفعت ذراعى فى بطء

وحذر ، بدأت أحرك أصابعى فرأيت شيئا مخيفا ، أظافرى طويلة

كمنقار الهدهد وبشرة يدي مكسوة بطبقة من التراب الناعم ،

أحسست أنها ليست يدي وتلكنى الرعب ، أغمضت عيني وحاولت

أن أنسى ، نظرت ثانية فتأكدت من صديق مارأيت ، فتحت النافذة

وملأنى الرعب : شوارع كاملة غاصت فى الأرض ، العمارات

الشاهقة انهارت ، المآذن طارت ، الأيقاض تتناثر حولها جماجم

بشرية ، مخلفات صناعية ، كلها مناظر كثيفة تبعث على الرعب ،
لمحت على مدى النظر هوائيات اللاسلكى ، أطباق الرادار تملو
أسطح زجاجية مائلة .. المنازل قصيرة مثل أكشاك بيع الصحف .
رأيت ميدانا فسيحا يشبه المطار ، خرجت متجها اليه ، ياهول
مارأيت : الناس مشوهون ، جميعهم كلل النسيب وهوسهم :
وقفت أحملق بمزيج من الدهشة والأسى :

— أهذا معقول ؟! شئ فظيع أن تنحطم كرات الدم هكذا
تحت الجند غمتلى أجسامهم بالبقع السوداء الزرقاء .. يا الهى ،
مالهم يمشون فى كسل وقد تبلدت مشاعرهم . نرت أتفرج
عليهم ولا أجرؤ ، على التحدث مع أحدهم ، ويبدو أنهم كانوا
يحملون لى نفس الشعور بالخوف ، نظراتهم يشوبها الحذر ،
همسهم خافت بلا مبالاة .

واحد منهم أشار الى وعلى شفثيه آثار ابتسامة ، يسير نحوى ،
أجرى فينادينى : كمال ، كمال .
لحق بى فأحسست بعق المأساء وأنا أنظر فى وجهه الأرقط
المتورم ، ابتسم وقال :

— كمال ألا تعرفنى ؟! أين كنت ؟!

— تحت الأرض .

— أين زوجتك ، أرجو أن تغير نظرتها للانجاب .. كمال ..
البشرية الآن مصابة بحالة عقم . وأنت نجاك الله من الحرب
وأهوالها فيمكنك أن تنجب أطفالا .. قل لى أين زوجتك ؟!
... أهى تحت الأرض ؟!

- نعم ، نعم .. أليس عندكم ماء
 — عطشان ؟ تعال معي ، يترق قريب .
 المنزل من حجرة واحدة ، مكيف الهواء ، بها كل شيء : سرير
 معلق ، مقعد وثير ، مائدة مستديرة ، أجهزة مختلفة الأشكال
 والألوان ، زجاجات وكؤوس ..
 أشار الى المقعد : تفضل .
 ثم وضع في يدي ثلاثة أقراص وناولني الكأس محذرا : إن
 كنت عطشانا بدرجة كبيرة فلا تشرب مرة واحدة .
 — ماهذه الأقراص ؟
 — وجبة غذائية .
 — أتعيشون عليها ؟
 — لا ، انها غالية جدا .. هذه كمية بسيطة ، وصلتني أخيرا من
 أمريكا .
 — أمريكا ؟ أمازلتهم تلهثون وراءهم ؟
 — للأسف .. قضيت عمري في خدمتهم وشاركت في انجاح
 تجاربهم وعندما صعدوا وبنوا مدنهم على الكواكب الأخرى ،
 تركوني وفضلوا من تجرئ في عروقهم دماء الغرب .
 — شيء طبيعي .. هل نسيت ما فعلوه بزئوج أفريقيا ؟
 — يبدو أننا خلقنا للأرض فقط .
 — لا ، انهم عاشوا للأرض باخلاص فارتفعوا الى الكواكب أما
 نحن فقد زاغت عيوننا الى الفضاء قبل أن ترسخ أقدامنا على
 الأرض .

- كُنَّا كَمَن رَقَصْتَ عَلَى السَّلَمِ •
 - أَسْتَأْذِنُ الْآنَ وَأَشْكُرُكَ عَلَى هَذِهِ الْحَفَاوَةِ •
 - لَا ، أَنْتَ لَنْ تَخْرُجَ •
 - أَرْجُوكَ أَنْ تَرْكِنِي أَمْسِي •
 - اجْلِسْ ، لَنْ تَخْرُجَ •
 - اتركنى ، ابعِدْ عَنِّي •• دَعْنِي وَشَأْنِي ، ابعِدْ •• وَجْهَكَ قَبِيحٌ
 •• أَرِيدُ أَنْ أَعِيشَ ، اتركنى ••

تَنَبَّهْتُ عَلَى صَوْتِ زَوْجَتِي : قُمْ يَا كِمَالُ ، اصْحَ •• مَالِكُ ؟
 - هَ ، كَابُوسُ يَانَادِيهِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ خَيْرًا •• عَمَّ ادْرِيسُ أَيْنَ
 هُوَ ؟

- مِنْ سَاعَةِ مَا خَرَجَ هُوَ وَسَمَادُ ••
 - أَنَا جِئْتُ أَهْ ••
 قَالَتْهَا وَدَخَلَتْ وَهِيَ تَحْصِلُ لِفَاقَةَ كَبِيرَةٍ ، أَمْرُغَتِ السَّلَامُونَ وَالْجَبِينُ
 وَالزَّيْتُونُ فِي الْأَطْبَاقِ ، رَصَتْهَا مَعَ الْخُبْزِ عَلَى الطَّبْلِيَّةِ ثُمَّ نَادَتْ
 زَوْجَهَا الَّذِي قَالَ :

- اسْمِعْ يَا وَلَدَ الْعَمِّ ، أَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ أُعْزِمَ ، الْبَيْتَ بَيْتَكَ ••
 هِيَ ، بِسْمِ اللَّهِ •

خِيَمَ الصَّنِيتُ لِلْحَفَظَاتِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى دَعْبَسٍ وَقَالَ :
 - « زَمَانُ ، زَمَانُ قَوِي ، كُنْتُ فِي سَنِ هَذَا « الدَّعْبُوسُ » وَمَاتَ
 سَيِّدُ الْوَالِدِ ، قَالُوا تَوَفَّى بِالسُّودَانِ ، كَانَ تَاجِرًا •• وَتَزَوَّجَتْ
 أُمِّي وَلَدَ عَمِّهَا ، كَانَ هُوَ بَوَابَ هَذِهِ الْعِمَارَةِ ، أَحْضَرُونِي إِلَى هُنَا
 وَكَانَ أَصْعَبُ شَيْءٍ ، فَارَقْتُ النَّوْبَةَ وَالصَّحْبَةَ إِلَى الْأَبَدِ ، تَرَكْتُ

النخيل والنيل ، والسّمك والدوم ، القمر والشعير .. حزنت على هذه الأيام الحلوة رغم بأسها وشقائها ، والحقيقة يا ولد العم ، النبى آدم حزن على أيامه وذكرياته ولا يدرى أن الرب فى التديير، يعنى لما بنو السد العالى غرقت النوبة ونقلوا الأهالى «شعتفوهم» فى الصحارى والجبال ، الوديان والواحات ، أحسن شئ أن النبى آدم يرضى بقسمته ويعرف أن المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين . . »

— سفرة دائمة يا عم ادرىس .

— كل يا ولد العم ، كل .

— شكرا ، شبعنا والحمد لله .. أنا مقتنع بكلامك يا عم

ادريس ، لكن ايه الحل .. وكيف نذهب الى الواحات ؟

— آيوة ، أنا فكرت كثيرا فى موضوع الواحات ، أول حاجة

قطار الصعيد .. وفى محطة أسيوط تنزلون .

— أسيوط ؟ لا ، هناك ضابط يعرفنى .

— وهو مالّه ومالكه ، كيف سيعرف أنكم فى أسيوط ، خلى

بالك معى ، موقف السيارات المتجهة الى الواحات تسأل عنه ..

وتركبون الى واحة أولاد سعيد ، وحالما تصل أسأل عن المرجاوى .

— من ١٢ .

— المرجاوى ، اسمه المرجاوى ، ولد عمى ولما يعرف أنك من

طرف ادرىس عبد المولى سيقوم بالواجب .

— والقطار مواعده الساعة ٢٠ .

— السيارات المتجهة الى الواحات تخرج من أسيوط فى الصباح

الباكر ، يبقى أحسن قطار هو الذى سيقوم من مصر فى الحادية عشرة مساء .

— ٤٩ —

ودعنا سعاد بالقبلات والدموع ، وضعنا الحقائب فى مؤخرة السيارة وركب معنا عم ادريس ، كانت الساعة تشير الى العاشرة مساء ، ومع أننى اجتهدت فى تغيير مظهرى وارقدت الجلسات الا أن قلبى كان يخفق بشدة وتملكنى احساس بالخوف من المستقبل المجهول الذى ينتظرنا . بعد حوالى نصف ساعة دخلت بنا السيارة الى ميدان رمسيس ، وما ان وقع بصرى على مبنى محطة مصر حتى أصابنى شيء من الاضطراب وتخيلت أن العساكر سيقبضون علينا داخل المحطة ، توقفت السيارة ونبهتنى زوجتى أن أسارع بدفع الحساب ، أخرج عم ادريس الحقائب فحملناها وسرنا الى الرصيف رقم ٧ ، الذى كان يعج بالحركة . الناس يتزاحمون بأحمالهم الكثيرة ، يتصايحون مع أقاربهم ، وسيارات الصحف تتسابق لافراغ شحنتها على الرصيف لتذهب وتأتى بالمزيد ، الحركة متصلة ، الضوضاء عالية ، الدقائق طويلة ، ثقيلة كثيفة . أخيرا ظهر القطار وتدافعت أمواج من البشر ، فجأة لم أر عم ادريس ، اختفى أثناء معركة الركوب ، لم أدر كيف قفز داخل القطار وأمل من الشباك ينادى علينا ملوحا بعمامته التى وقعت بسبب الزحام أو ربما خلصها لكى لاتضيع ، ناولته الحقائب من الشباك ، فوضعها على الكرسي وحجز لنا الأماكن حتى صعدنا

اليه ، فوجدناه قد اشترى زجاجات المياه الغازية المثلجة ، شربناها وظل جالسا معنا حتى الدقائق الأخيرة ، ثم قام فصافحنا وقال :
— لا تنس واحة أولاد سعيد والمرجاوى ولد عمى ، بلغه سلامى وأشواقى .

سمع صوت محرك الديزل فنزل ووقف على الرصيف ، فى عينيه نظرة حنان وحب وعلى شفتيه ابتسامة فاترة ، بدأ القطار يتحرك ، فاقرب من الشباك ألقى الى طاقيته البيضاء قائلا : تذكرنى بها . ضاعت منى الكلمات ، اختنق صوتى وسالت من عيني دموع ساخنة ، رأيت حياتى كشريط للذكريات ، يدور فى رأسى مصحوبا بدقات حزينة وأصوات مزعجة كصراخ البومة أو لعله صسوت القطار نفسه ، تواردت على ذهنى صورة مجدى ، تنطبع بلامح شيطانية : يضحك ، يكشر عن أنيابه ، يخرج لسانه ، يحملق فى غضب ، يتأوه ، يقهقه ، يقع مغشيا عليه ويسيل الدم من رأسه .
— كمال ، اقل الشباك .

كان الجو باردا والريح تلمس وجوهنا ، الشباك بلا زجاج ، حاولت أن أرفع « الشيش » دون جدوى ، فتحت الحقيبة الكبيرة أخرجت البطانية :

— خذى ، ضعيفا على كتفيك .

— أنا حاملة هم ايناس .

— غطيها بالبالطو وأنت يادعيس خذ ، البس هذا البلوفر .

سرحت مع خواطرى ، تذكرت أحلامى السابقة بأن آخذ فرصتى فى الاعارة وتحسن حالتى المادية فأمتلك سيارة ويكون لى رصيد

فى البنك ثم أترك مهنة التدريس وأفتتح مكتبا للتصدير والاستيراد فأصبح واحدا من رجال الأعمال المشهورين • بلعت ريقى بمرارة الجنظل ، تنهدت فى أسى ، ملأنى شعور بالحسرة وقلت فى نفسى : « يالها من أحلام ، لا يعرف الانسان قيمة ما هو فيه من نعمة الا اذا حرم منها •• أنا لا أريد الا أن أعيش •• فى صحراء ، فى جبل ، فى واحة •• المهم أن أتنفس الحياة حتى لو كانت فى كهف ، اعلى وأروع مافى الحياة هو أن نشعر أننا أحرار ، واذا كان مقدرنا لى أن أصبح غنيا فلماذا لم أولد أصلا فى عائلة ثرية ، صدقت ياعم ادريس •• فعلا •• أحسن شئ ان تشوفه العين •• الله يمسيك بالخير ياعم ادريس •• »

حينئذ تذكرت الطاقة البيضاء التى قذفها لى من الشباك ، أخرجتها من جيبى ولبستها •

— كمال ، أما زالت أسويط بعيدة ؟

— لا أعرف بالضبط ، لكن القطار سيصل بنا عند الفجر ، مالك نادية ؟

— المخص يمزق بطنى •

— لا بد أنك جائعة ، أين « الهندويات » التى عملتها

سعاد •

— فى الحقيقة الصغيرة ، أنا •• لى أكل ••

— يجب أن تأكل لى يضع المخص ، إنه من الجوع •

— لا ، ليس لى نفس ••

— سأطلب شايا ساخنا من عامل البوفيه •

— ٥٥ —

لأول مرة فى حياتى ابتعلت عن الميزان والناس ، اللون الأصفر يخاصرنا من كل الجهات ، الصحراء ممتدة الى الأفق برمالها الكالحة وتلالها القصيرة ، الطريق الأسفلت شريط ضيق متعرج ، يملو ويهبط كأنه ثعبان اسود عملاق يتلوى لكى يهضم فريسته • السيارة تنن بمحركها المتهالك وترتجف كلما انحدر الطريق تحتها • أحيانا كانت تظهر على الجانبين شجيرات خضراء قاتمة أو بقع من الأعشاب الشوكية حمراء اللون ، حاولت أن أفهم شيئا من أحاديث بقية الركاب دون جدوى ، كانت لهجتهم غريبة ، لم أميز منهم الا كلمات متفرقة : « الزيتون ، الله ، البئر ، الغلمان ، الأردب ، الطيور » •

سألت نفسى بشئ من الخيرة : « كيف يمكن أن تعيش بين هؤلاء القوم ؟ وماذا سأقول عن نفسى ؟ ومن أى عمل أكتسب لقمة العيش ؟ هل أسألهم عن العرجاوى ؟ أنتظرت حتى انتهى كبيرهم من حديثه ، التفت اليه وسألته : قل لى ياشيخ العرب • هل تعرف العرجاوى ؟ »

فوجئت به يكلمتنى بالعربية الفصحى : كيف لا أعرفه وهو الذى يشتري منى الأغنام والماعز ؟ • لماذا لم ينتظركم بسيارته ؟
— لا يعرف أننا قادمون •

— أقرباؤه •

— نعم •

— العرجاوى رجل تقى ، السلام أمانة •

— يصل ان شاء الله •

أتلج صدرى ما سمعته من الشيخ فأحسست بالأمان وشردت
بخيالى أتصور العرجاوى كرجل ميسور مهيب وقلت فى نفسى :
« لابد أنه سيساعدنا وقد يستعين بى فى تجارته ويجعلنى أمسك
حساباته ، اذن لاداعى للقلق » •

وبينما كنت أتأمل الطريق بنظرة تافؤل تاركا لخواطرى العنان ،
توقفت السيارة وقال السائق :

— واحة السعدى ياسيدنا الشيخ •

— أتكلمنى ؟•

— نعم ، ألن تنزل هنا ؟•

— قلت لك واحة أولاد سعيد •

— لا توجد واحة بهذا الاسم ، انها واحة السعدى •

التفت الى شيخ العرب فهز رأسه مردداً : نعم ، نعم •

— لكنى لا أرى شيئاً .. أين الواحة ؟•

— كان يجب أن ينتظروك هنا ياسيدنا الشيخ •

قالها السائق وفتح الباب ثم أشار الى الجانب الأيمن واستطرد:

« هذا المدق سيوصلكم الى الواحة لا تحيدوا عنه » •

كانت الشمس حارقة والريح لافحة تلسع وجوهنا بذرات الرمال
الساخنة جدا ، حملنا الحقائب أنا ونادية ، أما دعبس فقد حمل ايناس
ومشيئا على المدق نصعد التلال ونهبط المنحدرات ، المواصل

الرملية تطيش وتهدأ ، الأفكار تتزاحم فى رأسى ، تذكرت قول السائق : « ياسيدنا » .

لمعت الكلمة فى ذهنى واستمرقتها فسألت نفسى : « لماذا لا أكون واعظا » ...

.. فى البداية على الأقل يجب أن يكون لى عمل يعرفنى الناس من خلاله ، فأنا محتاج الى صفة أقدم نفسى بها الى الناس ، ثم تأتى بعد ذلك التجارة أو الزراعة ، المهم أننى ..

— كمال .. الى متى سنظل سائرين هكذا ؟

— هل تميت يانادية ؟

— أخشى أن يحل علينا الظلام .

— قطعنا مسافة كبيرة ولا بد أن الواحة أصبحت قرية لكن

المرتفعات تجعلها ..

— وماذا سنقول عن أنفسنا ؟

— أنا واعظ وأرسلتنى اليكم وزارة الأوقاف .

— واقرض أن الواحة ليس بها مسجدا ؟

— مستحيل ، على الأقل يكون بها زاوية أو حتى مصلية

« بالطوف » .

— كمال ، المدق الذى كنا نمشى عليه اختفى !

— الرمال تغطيه .

— أخشى أن تتوه فى الصحراء .

— لا يانادية ، لا تخافى .. ان الله لم يتخل عنا فى أحلك

الأوقات ولن يتخلى عنا أبدا .

— المدق اختفى ياكمال ١٠٠

— اتبعونى وسوف يهدينى الله اليه •

— تعبت ولن أقدر على السير بعد الآن •

— فعلا يجب أن نستريح ولأكل شيئا ، افرشى البطانية تحت هذه الشجرة اليتيمة ، تعال يادعيس • أخرجت « الزمزية » وصبيت لهما الماء فى الكوب « البلاستيك » حرصا على ألا تنسكب • فتحت علبة مربى ثم أفرغتها فى طبق صغير وبدأنا فى تناول الطعام تبخر العرق فأحسست بشيء من البرودة تطفئ جسمى ، مرت لحظات والشمس تميل ببطء نحو مخدعها الغربى ، خيم الصمت على المكان ، دعيس أغمض عينيه واستسلم للنوم • زوجتى ترضع ايناس وأنا أقامل هذا القضاء الشاسع المريع وأفكر فيما سيفعله أخى عندما يذهب الى ابن خالتى فى « أم المصريين » ويكتشف أنتى لم أذهب اليه ، هل سيحاول البحث عنى ؟ أم سيكونى على الخير « ماجورا » ويصمت •

فجأة ، صرخت فادية وأمسكتنى بشيء من الهلع ، اضطرب قلبى ، جف حلقى ، سألتها :

— مالك يا فادية ؟ ايناس جرى لها حاجة ؟

— ثعبان ، ثعبان •

رأيت جزءه الممتد خارج الشق ، يقف ساكنا ، يلعب بلون الرمال تناولت حجرا وألقيته بكل قوتى ، فتهشم رأسه وجعل يتلوى مترنحا ، وهنا فقط رأيت أرجلها الصغيرة فشعرت بالندم وقلت فى نفسى :

— سامحنى يارب ، كانت سحلية يانادية •

حملنا الحقائق ومشينا ، تملكنى احساس بالذهب ، أصبحت قاتلا لأول مرة فى حياتى ، تذكرت أيام الطفولة كنت أسممهم يقولون : السحلية تحمل مفتاح الجنة وقتلها حرام •

تنهدت بنوع من الضيق ورددت فى نفسى : « يبدو أن عجلة الاجرام تصحبنى اليها ببطء ، اليوم قتلت سحلية أزهرت روحا ، ولا أدرى ماذا ؟! آه لو أنها ترشت او تأملتلتا لتعرف أنها سحلية فى البداية كانت حواء وراء خطيئة آدم واليوم .. اليوم ، لا .. يبدو أنها لعنة موروثه ، لعنة نسبية ، يزيد حجمها أو ينقص من انسان لآخر ، لكنها تصيب الجميع .. هل قدر للانسان أنه فى الوقت الذى يهب فيه للدفاع عن نفسه يرتكب جريمة ؟ وماذا لو كانت هذه السحلية ثعبانا حقيقيا ؟ أكانت تسكت وتتركه ليهاجم علينا وينهى حياتنا .. أكان يجب أن تتكاسل حتى يخنقنى مجدى بقبضته القوية ثم يقتلها أو يقيدھا ويهرب كما جاء هاربا من عادة الثار فى الصعيد ؟! .. وهل كان ..

— تهنا يا كمال ، المدق ليس له أى أثر •

— هه ، اطمئنى يانادية ، لن تنوء ولن يصيبنا الا ماكتب الله لنا •

— الشمس توشك أن تغرب •

بين التلال الجيرية والرملية ، رأيت كتلة هائلة من الصخر يصل ارتفاعها الى أكثر من خمسة أمتار ، توجهت اليها وصعدت الى قممتها ثم وقفت أمسح بعينى صفحة الرمال من كل الجهات ، على

مرمى البصر لمحت شكلا قاتما يشبه قمم الأشجار ، تنفسست
الصعداء ، وجريت بالفرحة اليها فقلت مبشرا :

— رأيته يا نادية ، الواحة أقرب مما تظنين ، لو أسرعنا الخطا
سنصل قبل الظلام .

— الحمد لله .

— ألم أقل لك أن الله لن يتخلى عنا ؟ هيا بنا .

— عرفت علامات الطريق اليها لكن لا تتوه ؟

— نعم ، انها بالضبط فى اتجاه الشرق من هنا وربما لا تبعد
أكثر من ثلاثة كيلومترات .

تولدت فى نفوسنا شحنة هائلة من الحماس ، أدركنا ظهورنا
لقرص الشمس الوردى الشفاف ، ومشينا نجوب السهول ،
نصعد التلال ، نزل المنحدرات ، تلتفت الى قرص الشمس ،
تتعرش فى الأحجار ، بدأت تظهر قمم الشجر ، تعلقت أبصارنا بها
حتى وقفنا على الهضبة المطلة عليها وصاحت نادية بشيء من
الاجباط :

— أهذه واحة ؟

— تعالى ، لمحت رجلا هناك ، تعالى نسأله .

كانت الأشجار باسقة الأفرع شديدة الخضرة ، لا يتجاوز عددها
أصابع اليد الواحدة على مسافة أمتار قليلة حجرة بلا سقف ، من
بعيد يمتد سور قصير وصف من شتلات أشجار الكافور الميتة ،
الرجل يهرش كحيوان أجرب ، جلبابه قصير قذر كآله من حفارى
القبور ، شعرت أننا دخلنا أرضا تخصه فقلت مناديا : السلام

عليكم • التفت مأخوذاً ، ففر فاه ، وضع يده فوق حاجبيه وجعل
يخلق فينا ثم انحنى يتناول عكازه من الأرض وجر ساقيه قداما
الينا ، كان من الواضح أنه يعاني آلاما في قدمه اليسرى المربوطة
بشريط من الجلاباب بادرت فسألته : أهذه واحة السعدى ؟

أجاب فى عصبية وبصوت أجش : ألم تر واحة من قبل ؟
— أقصد أن تدلنى على طريقها •
— لا أعرفه •

— قل لى من فضلك ، أين نحن الآن ؟

— قلت لك لا أعرف .. هيا ، مع السلامة •

— ياسيدى ، نحن كما ترى ..

— ألم تسمع ، هيا •

قالها صارخا بصوته القبيح فبكت ايناس ورفعت زوجتى وجهها

الى السماء : ارحمنا يارب ، ماذا نفعل الآن ؟

— اصبرى يافادية ، اسمح لنا ياشيخ العرب أن تقضى ليلتنا
عندك •

— هذه الحرمة زوجتك ؟

— نعم ياسيدى •

— والحقائب .. ماذا بداخلها ؟

— ملابسنا وبعض الاطعمة •

— اطعمة كثيرة ؟

— نعم •

— ستيتون هنا أكراما للصغيرة فقط •

— الله يكرمك •

— تعالوا •

سرنا خلفه بشيء من التوجس ، فى الحجرة ناز تضطرم تحت
علبة من الصفيح بها ماء يغلى ، وضعنا الحقائق وجلسنا ، بدأت
زوجتى ترضع ايناس ، لاحظت أنه يتأمل ثديها بعين زائغة ، غلى
الدم فى عروقى ، أومأت لها فاستدارت الى الجانب الآخر ، اقتربت
منه وسألته : ألا تعرف المرجاوى ؟

— لا أعرف أحدا •

— منذ متى وأنت هنا ؟

— وأنت مالك •

— هل تنوى زراعة هذه الأرض ؟

— ان كنت تظن أننى مجنون فأنا أعقل منك ومن أهلك •

— حاشا لله ، أنا أعتقد أنها فعلا تصلح للزراعة وبدليل هذه

الأشجار •

— أنت لم تذق ماء البئر ، خذ • • اشرب •

قدم لى وعاء من الفخار ، شربت منه جرعة ماء ، فكان طعمه

مائعا يشبه ماء العيون الكبرى فى حلوان •

ناولته الوعاء مؤكدا : أنه ماء مفيد للصحة •

— فى قاع البئر أحجار من الملح •

— وأنت ماذا تفعل هنا ؟

— أحارب الثعالب •

— ذات الفراء ؟

— لا أفهمك •

— اذن فأنت تبيعها لحديقة الحيوان •

— أبيع ماذا ؟ •

— الثعالب •

— يبنى وبينهم كراهية شديدة •

— لماذا ؟ •

— يريدون قتلى .. انظر •

كشف عن ساقيه فرأيت بهما جروحا صديدية عميقة ، كان يعالجها برماد الخشب المحترق ، يفركه بين أصابعه ويرشه فوقها متألماً ، غطى ساقيه وقال بغيظ : لكنى سأنتقم ، سأنتقم .. ولع •

— نعم • •

— خرمان ، ولع •

— أنا لا أدخن •

غمغم بكلمات هامسة وقام الى النار ، رفع العلبة ووضعها على الأرض ، فرش أوراق الشجر وأمسك قطعتين من العصي ، ثم أخرج من العلبة شيئاً كالأرباب المسلوخ وبلا رأس • وضعه على الأوراق الخضراء قائلاً :

— تفضلوا ، شاركوني الطعام •

— معنا طعامنا •

— ستأكلون منى لكنى أأكل معكم •

قالها وقسح الأرباب الى أربع قطع ، أخذ كل منا واحدة ، فتحت الحقيبة الصغيرة وأخرجت منها الأرغفة ومثلثات الجبن وبدأنا

تناول الطعام على ضوء « ركة » النار التي دأب على تغذيتها
بالتلات الجافة بين وقت وآخر ، شربنا ماكان متبقيا في
« الزمية » من الماء العذب ، ساعدنى دعيس وملاتها من البئر ،
وعندما رجعت الى الحجرة ، شاهدت الرجل يقترب من زوجتى
وسمعتها تصرخ فيه : لا ، لا .

تملكنى الغيظ وأحسست بأننى أريد أن أقتله ، اندفعت اليه
وسحبته من جلبابه فى عنف : ماذا تريد منها ؟
— أسأله ان كانت تعرف الرقص .

— ابتعد عنها لكى تفوت ليلتك السوداءعلى خير .
— لو لم تكن ساقاى مجروحتين لفرجتكم على الرقص ، الرقص
الذى عمركم ما رأيتم مثله ، أنا كنت راقصا من الدرجة الأولى ،
جميع الكازينوهات تعرفنى لكن الثعالب غدرت بى ، غنوا ، غنوا
معى :

« الثعالب فات فات وفى ذيله سبع لفات » .
وجعل يغنى ويهذى كالمحموم ، أحسست أن وراءه مأساه ،
لكنى فى نفس الوقت كنت أشعر نحوه بكراهية شديدة . مر
الوقت بطيئا وهو يرفع عقيرته بكلمات غريبة حتى غلبه النعاس
فنام وهو يشخر بصوت مزعج مثل تقيق الضفادع ، حينئذ كان
القمر يفرش بساطه المضىء على كل شئ ، رفعت وجهى للسماء
وتأملت قرصه الفضى الذى طالما تغنى به الشعراء فوصفوه
بالوجه الملائكى تذكرت صعود العلماء اليه وهبوط مركبة
« أبوللو » على جبال « الألبين » والصور التي التقطوها لسطحه

الملء بفوهات البراكين كأنه وجه انسان مريض بالجدرى ،
 سألت نفسى : « لماذا تكون الأشياء البعيدة جميلة وإذا امتلكتها
 ندوسها بالأقدام ونصفها بالقبح ، بالأمس القرب كنا نتم
 بحياة آمنة رغدة ومع ذلك لم نشكر الله عليهما ، والآن تمنى
 الحرية والأمان حتى لو كان غذاؤنا خبز وملح .. ما أتمس
 الانسان ! » ..

ظلت شاردا مع خواطرى حتى نادتنى زوجتى بصوتها الخنون :
 - كمال .

- نعم يا نادية .

- ألسنت نادما ؟

- أنا .. ألعن ماذا ؟

- لم تعد مدرسا .

- لكن الحياة مستمرة ويجب أن نعيش مهما كانت الصفة التى
 نعماها ..

- مستقبلك ليس هنا .

- المستقبل بيد الله ، أما أنا فيكفينى حبك أنت وإيناس .

- يحق لك أن تكرهنى .

- نادية حرام عليك ، هذا هو قدرنا معا والانسان مشدود
 الى قدره بقوة جبارة لا يمكن تعطيلها ، اسمى ، أنا كنت أحلم
 بأن أكون صحفيا ، لكن مجموعى وقف بى عند كلية الآداب ولم
 أكن راغبا العمل فى الريف ، لكن تقدير « مقبول » فى اللسانس
 أوصلنى الى كفر الغنيمى وأيضا كنت أخطط للزواج من خريجة

جامعة ، لكنى أحبيتك وتزوجتك .. اذن لا بد وأن يكون هذا
هو قدرى المكتوب سواء رضيت به أم لم أرض •

— ٥١ —

مع نسمات الصباح الأولى تأهينا للمسير ، لكنه وقف يسد
علينا الطريق فقلت له :
— نحن نشكرك على استضافتك لنا ليلة البارحة ونلغو لك
بالشفاء •

— هذا لا يكفي •

— ماذا تريد ؟ •

— شيئاً أرتذيه •

— حاضر •

— وشيئاً آكله •

أعطيته جلباباً ورغيفاً وعلبة مربى ، كان ينظر فى الحقائق
بعين ملؤها الجشع ، اقترب منى وقال :

— لا تنس اننى أطعمتكم ثلاثة أرباع الفأر •

— الفأر ١٠٠ ماذا تقول ؟ ألم يكن أربابا الذى أكلناه ؟ •

— لم أقل أنه أرنب •

— أكلنا فأراً ؟ يا خرابى ١٠

هكذا صرخت نادية وارتمت على الأرض تحاول أن تتقيأ بلا
جدوى ، نظر الينا بمزيج من الدهشة والازدراء •
ثم قال باستعلاء :

— ماذا دهاكم ؟ لا فرق بين أرب جيلى وفار جيلى ، ألم يكن شهيا ؟ الناس فى كوريا وتايلاند والهند يأكلون الفئران والثغابين فى زائير يأكلون القروء ، فى فرنسا يتهاقون على الضفادع ، ماذا ..

— ابتعد ، ابتعد أيها الخنزير اللئيم .
دفعته بكل قوتى فتراجع واستند الى الحائط ، أخذنا العقاب وخرجنا فشيئنا بصوت مرتفع :

— لا أدري أى نوع من البشر هذا ١٠

— ماذا يفصبه على العيش هنا ؟

— لا بد أن وراءه سرا ، يبدو أنه كان ثريا قبل ذلك فهو يعرف الكازينوهات ويتحدث عن كوريا والهند وفرنسا .
— فهمت أنه كان يعمل راقصا فى فرقة تجوب أنحاء العالم ، فكيف جاء الى هنا ؟

— لا أعرف لماذا وكيف جاء ؟ أنه انسان غامض .

— من شاف بلاوى الناس هان عليه بلاؤه ١٠

تألقت الشمس فى كبد السماء ، قىظها الحارق يكوى أجسامنا ، أخذ منا التعب كل مأخذ ، تملكنى شعور باليأس ، كنا كمن يبحث عن ابرة فى كومة قش ، أحسست أننا سنموت لا محالة على هذه الرمال الممتدة بلا نهاية ، جف حلقى وضاعت أنفاسى كأن جبلا قويا يلتف حول عنقى ويضغط عليه ، ارتمينا على الأرض نلتقط الأنفاس ، نشرب جرعة ماء ، نستجمع قوانا ، التقت نظراتنا فى صمت ، ماتبقى لنا من كلام على هذه الأرض أصبح مرسوما

فى وجوهنا بخطوط سوداء حفرها الارهاق والخوف •
تناهى الى سمعى صوت رائع طربت له اذناى ، التفت اليها
غير مصدق ، وجدتها ترهف السمع وقد انفرجت أساريرها :

— نادية ، أسمعين • ؟

— انه صوت سيارة •

جريت قفزا الى التل فصعدت أعلى جزء فيه وتلفت ، وقم
بصرى عليه ، كان جرارا زراعىا أحمر اللون • يجرى ناشرا خلفه
سحابة من الغبار الأصفر الداكن • لوحث بذراعى وناديت بأعلى
صوتى :

— أنقذنا ، نحن هنا ، أنقذنا من الموت •

مرت لحظات كثيفة قاسية ، صوتى يضيع مع الرياح وأنا أنادى
بمزم وتصميم طالبا النجدة ، أخيرا تنبه السائق ولمحنى فاستدار
نحو التل ، كان شابا دون الخامسة والعشرين ، يرتدى قميصا
أحمر وبنطلونا كاكيا ويضع على رأسه طاقيـة بيضاء مزركشة ،
سأله متوسلا :

— ألا يمكن أن تأخذنا معك الى واحة السعدى • ؟

— أنا متجه الى مزرعة « أبو المجد » •

— ستكون مروءة منك اذا ساعدتنا •

— أن ورائى فى المزرعة أعمالا كثيرة •

— أيرضيك أن نموت هنا •

— تعالوا معى نستأذن صاحب المزرعة أولا •

وضمنا الحقائق فى المقطورة وركبنا ، تنفست الصعداء ، رفعت

زوجتى وجهها الى السماء وقالت بصوت مسموع : ياما أنت كريم
يارب •

— ٥٢ —

لاحت من بعيد المساحة الخضراء محاطة بأشجار الكازورينا ،
ويتصدرها لوحة زيتية كبيرة ، الأرض لا تختلف الا فى كونها
مسطحة تماما ، هلت علينا نسمات رطبة ، اقتربنا من المدخل وهو
شارع يفصل المزرعة الى جزئين ، قرأت اللوحة : « مزرعة أبوالمجد
لصاحبها : المهندس حسن عبد العظيم أبو المجد • تأسست فى
ابريل سنة ١٩٧٥ » •

اللون الأخضر يكسو الرمال بدرجات مختلفة ، قابلتنا روائح
عطرية منعشة ، دفعنى حب الاستطلاع أن أسأل الشاب عن نوع
ذلك النبات القصير ذى الأوراق الخيطية الدقيقة فأجاب فى شيء
من الفخر •

— أعشاب طبية تباع بالعملة الصعبة •

كافت مساحتها لاتقل عن عشرة أفدنة ، بعدها مباشرة وعلى
الجانب الأيسر نبات يشبه « السمار » الذى ينمو على شواطئ
الترع والمساقى ، فهمت أنه يستعمل كغذاء للماشية عندما وقم
بصرى على مبنى مستطيل يشبه الحظيرة ، أمامه بالات من التبن •
أما الجانب الأيمن فمزروع بالفول السودانى الذى اصفرت
أوراقه علامة على النضج ، خلف أشجار الزينة شد انتباهى منزل
ذو طابقين مطلى باللون الأبيض وله شبابيك زرقاء ، توقف الجرار

وقفز الشاب من مقعده قائلاً : دقيقة واحدة استأذن الباشمهندس •
كنا مبهورين بهذا الانجاز الرائع فى قلب الصحراء ، سألتنى
زوجتى :

— كيف يحصلون على المياه الكافية لرى هذه الخضرة ؟•

— من الآبار طبعا •

— لازم يكون مليونيرا •

— من ١٠٠ صاحب المزرعة ؟• طبعا مليونير ، لكن يجوز انه بدأ

بمبلغ متواضع ، فرحلة الألف ميل تبدأ بخطوة •

— انه قادم •

رجع الشاب ومعه رجل فى الأربعين ، طويل ، نحيف ، قمحى

اللون ، يرتدى بنطلونا أسود وقميص كاروهات أخضر ، يضع على

عينيه نظارة طبية ذات اطار ذهبى وجهه مشرق بابتسامة عريضة

جعلتنى أشعر بالآلفة • رفع يده بالتحية فنزلت وصافحته ، قدم

نفسه بتواضع شديد : حسن أبو المجد فى خدمتكم •

— شكراً ، نحن فى الحقيقة كنا ذاهبين الى واحة السعدى

وتهنأ لمدة يوم ونصف حتى أنقذنا الأخ سائق الجرار من الموت

فى الصحراء •

— أول مرة تسافرون الى واحة السعدى ؟•

— نعم ، قانا واعظ جئت موفداً من وزارة الأوقاف •

— أهلاً ، أهلاً ، حصلت لنا البركة •

— الله يبارك فيك •

— طيب ، الواحة بعيدة والطريق وعرة ، قايه رأيك لو تشرقفونا

اليوم وغدا بإذن الله يوصلكم الأسطى ناهض الى الواحة •

— الحقيقة ، هذا كرم من حضرتك وأنا عاجز عن الشكر •

— لا ، أبدا .. تفضلوا •

— جزاك الله كل خير •

سرنا معه بينما قفز سائق الجرار الى عجلة القيادة واستدار مبتعدا ، فى نفس اللحظة انطلق صوت ماكينة المياه : « طق ، طق ، طق » • انمطنا يمينا من المشاية المؤدية الى البيت ، على الجانبين أحواض الزهور منسقة تنسيقا بديعا ، فى المدخل تكعيبية غنب هائلة تتدلى منها العناقيد : صفراء وقرمزية وسوداء ، تتناثر تحتها مقاعد رشيقة من الخيزران ، أشار اليها قائلا :

— تفضلوا سأغيب عنكم خمس دقائق •

كان البيت فخما كأنه قصر ، الجدران مرتفعة نظيفة ، النوافذ عريضة ، الأبواب عالية مزخرفة ، وضعنا الحقائق وجلسنا ، المنظر من حولنا ساحر يفيض روعة وجمالا ، الهواء عليل معطر كأنه نسيم الجنة ، تنفست بعمق ، مسحت المكان بناظري ، خيم الصمت برهة ثم قالت زوجتى بنبرة حاملة :

— عندما يرجع أخى من السعودية سيكون معه أموالا كثيرة •

— يعنى ايه ؟ •

— تستطيع أن تأخذ منه مبلغا :

— بصفة ايه ؟ •

— أما سلفة أو ثمننا لنصيبى فى الدار والفيط •

— لماذا ؟ •

— نأخذ قطعة أرض كهذه ونزرعها •
— آه ، يبدو أنك حلمت كثيرا وحلقت فى سماء الخيال فنسيت
أنا خرجنا من « الكفر » ولن نرجع اليه أبدا •
تجهم وجهها وانعكس فى ملامحها شعور بخيبة الأمل ، فقلت
مهونا عليها :

— اذا كان العرجاوى غنيا كما سمعت فهو الذى سيساعدنا •
— انظر ، انظر ، اللهم صل على النبى •
حينئذ كان باب الحظيرة قد فتح وخرج قطع من أبقار
« الفريزيان » تتسابق الى مراعيها الخضراء ، تجرى فى نشاط
زائد وجلدها الأبيض الملطخ ببقع سوداء بلمع تحت وهج شمس
الأصيل •

— تأخرت عليكم ؟•
قالها المهندس أبو المجد وسحب كرسيه ، فجلس جانبي مرددا :
— أهلا ، أهلا •
— أهلا بك يا حسن ييه •
— هل ستقيمون فى الواحة بصفة مستمرة أم أنها مجرد زيارة ؟•
— اقامة مستمرة اذا شاء الرحمن •
— هذا اتجاه مبشر ودليل على أن شبابنا أصبحوا عمليين أكثر
وتخلصوا من قيود العصبية والحنين الى الماضى •
— فعلا ، أفكار الشباب تغيرت •
— تصور أنهم وصفوني بالجنون منذ خمسة أعوام •
— لماذا ؟•

— لأن عندى روح المغامرة ، فعندما رجعت من « ليبيا » حيث كنت معاراً قررت أن أضع كل ثروتى فى هذا المكان ..

— السلام عليكم •

قالتها سيدة شقراء ، فى نحو الثلاثين من عمرها ، ترتدى فوق الفستان الفيروزى بالطو أبيض ، أشار إليها قائلاً : زوجتى دكتورة سوسن ، طبيبة بيطرية سابقا ، ومديرة الانتاج الحيوانى بالمزرعة حالياً •

— أهلاً وسهلاً •

— الأستاذ واعظ أرسلته وزارة الأوقاف •

— الينا ؟

— الى واحة السعدى ، لكنه على أى حال سيكون قريباً منا • صافحتنا ثم خلعت البالطو وجلست بينما استطرد زوجها :

— تصورى ياسوسن .. الجماعة تاهوا فى الصحراء وظلوا

سائرين يوماً ونصف •

— ياخبر ١٠٠٠ وهل كان معكم طعام وماء ؟

— نعم ، كان معنا مايكفى ويفيض ، ومع ذلك لم نسلم من

قسوة الصحراء •

— كيف ؟

— أكلنا فأراً •

— أكلتم فأراً ؟ • كيف ؟

— رزقنا الله برجل يعيش فى حجرة بلا سقف ، رجل قبيح مثل

حيوان أجرب ومصاب فى قلبه بجروح غائرة ، قدم لنا طعاماً

حسيناه أرنبا •

— وكان فأرا •• يا خبر •• لقد غانيتم كثيرا •

— على أى حال ، اعتبروا أنكم وصلتكم الواحة وانتهت المعاناة •

— الحمد لله •

— لابد أنكم جائعون ، سأجهز لكم طعاما •

قامت متجهة الى البيت وكرر المهندس حسن تحيته : حصلت
لنا البركة •

— الله يبارك فيك ، الحقيقة يا حسن بيه حضرتك نودج مشرف

لكل مصرى •

— ما فعلته أنا يستطيع أى شاب عنده روح المغامرة أن يعمل

أحسن منه •

— مثل هذا الانجاز الرائع يحتاج فعلا الى روح المغامرة •

— تعرف لماذا لا يوجد الآن رحالة مثل ابن بطوطة أو مكتشف ،

مثل ابن الهيثم ، ولماذا تخلفنا عن ركب التقدم وانقطعت عنا أمجاد

الحضارة العربية •• لماذا ؟ لسبب بسيط جدا هو انعدام روح

المغامرة •

— معك الحق فى هذا •

— لذلك أنا سعيد جدا أن يكون رجال الدين فى طليعة معمرى

الصحراء •

حينئذ سمعنا صوت كلاكس سيارة فقام واتجه ناحية مصدر

الصوت ، غاب عنا بضع دقائق ثم عاد ومعه ضابط •

دقت زوجتى على صدرها وقالت بفزع : يا خرابى ، يا خرابى •

الجمتى المفاجأة ، وقت حائرا ، ارى ان اجرى أو تنشق
الأرض وتبتلعنى ، خفق قلبى بعنف وكاد ينخلع من مكانه ، قلت
فى نفسى :

« خلاص ، جاءك الموت ياتارك الصلاة .. هذه هى نهايتنا
المحتومة » .

مرت لحظات صعبة ، مريرة ، حتى قال المهندس حسن وهو
يشير بيده اليمنى :

— حضرة الضابط يبحث عن رجل أسود ، شعره ناعم ومصاب
فى قدميه .

— مصاب فى قدميه ؟

— أليس هو الذى أطعمكم الفأر ؟

— انه مجرم خطير ، كان يعمل راقصا ثم كون عصابة لسرقة
البنوك .

ولم يكذب انتهى الضابط من كلامه حتى قالت نادية .

— نعم انه هو ، قال انه راقص من الدرجة الأولى .

— تعال معنا لكى تدلنا على مكانه .

— ٥٣ —

توقفت السيارة على مسافة بعيدة ، كان واقفا فى نفس المكان
الذى رأيته فيه أول مرة ، يبدو أنه كان يجمع حطبا ، أشرت لهم
اليه ، وزعوا أنفسهم ومشوا حاملين السلاح ثم حاصروه من كل
الجهات وطالبوه بالتسليم ، وقف حائرا يتلفت فى ذهول ، رفع

بديه ، سار اليهم ، قبضوا عليه ، ألبسوه أسورتين من الحديد
واقادوه الى السيارة ، كاد الشرر يتطاير من عينيه عندما وقع
بصره على ، كثر عن أنيابه ، حرك شقيقه مستجما لعابه ،
حاول أن ييصق على فابتعدت وسقطت على ستره العسكري
الجالس الى جوارى فضربه « بدبشك » البتدية ، لم أحتمل نظرتة
الشرطانية وهو يحرق في كأفمى تتربص لفريستها تنبتهت الى أن
السيارة تجرى على طريق من الأسفلت ، أصابنى القلق وقلت :

— رجعونى أولا الى المزرعة •

— هناك بعض الاجراءات ، ستأخذ مكافأة من الاتربول

• « البوليس الدولى » •

قالها أحد العساكر فعلق الرجل بمزيج من السخرية والغيظ :

— بكم ألفا بمعنى ؟•

أحسست بوخز الضمير وترددت كلمته الأخيرة فى ذهنى برجع

صدى كتيب :

— « بعتنى ، بعتنى ، بعتنى •• الاتربول ، كم ألفا ؟• اذن فهو

لص ومحترف ، لا بد أنه سرق مبلغا كبيرا ، مليون جنيه مثلا ،

لكنه بائس يرتجف كحيوان أجرب ، بماذا تفيده ، ملايين الدنيا

كلها •• ياله من غبي ا » •

ابتسم جندى وقال فى تودد : أنت أمك داعية لك •

— الى أين أنتم ذاهبون الآن ؟

— الى مديرية أمن أسيوط •

— أسيوط • لا ، أرجوكم نزلونى •

— لقد وصلنا •

تملكنى الفزع وأحسست « بالمغص » ينشب أظافره فى أمعائى
قلت لنفسى : « لابد أن صورتى عندهم وسوف يتعرفون على ،
ماذا لو رآنى الضابط سمير ؟ • انه يعمل هنا فى أسبوط ولا بد
أن الجرائد نشرت قصتنا وقرأها » •

وبينما كنت شاردا مع أفكارى توقفت السيارة ونزلنا أمام مبنى
المديرية ، فكرت فى محاولة الهرب ، لكنى لاحظت أن رجال الأمن
منتشرون فى المكان كله ، سرت معهم بلا إرادة ، كانت قدمائى
لا تقويان على حملى وذهنى شارد مع النهاية التى لابد منها ،
تمنيت لو لم أر هذا اللص أو أرشد عنه ، رددت فى أسمى :

« أصبحت كمن حفر حفرة لغيره فوق هو فيها ، صحيح
لا يحق المكر السيئ الا بأهله ، لكنى لم أنكر والظروف هى
التى جمعتنا به ، مالى أفكر بتשאيم ، أليس هذا هو قدرى ثم اننى
لو هربت سأثير ضجة وقد أفضل ويعرفون حقيقتى ، أما الآن
فالجميع يتسمون لى ويشكروتنى » •

أخذونى الى ضابط كبير برتبة « عقيد » قام وشد على يدى ثم
هنأنى :

— ألف مبروك ، الأتريول سيقدم مكافأة لن تقل عن ألف
وخمسمائة جنيه •

— على ماذا ؟ لم أفعل شيئا •

— أنت قدمت للمجتمع الدولى خدمة كبيرة •

ثم رفع سماعة التليفون وسألنى :

— اسمك ايه ٢٠

— هه ، اسمى ، اسمى كمال الدين .. الشيخ كمال الدين

• توفيق

تحدث فى التليفون بلهجة آمرة :

— بالنسبة لموضوع الاتربول ، ابعثوا اشارة باسم السيد

كمال الدين توفيق ، آيوة المرشد .. نعم ٢٠

قال الكلمة الأخيرة باستغراب والتفت يسألنى :

— أنت من روض الفرج ٢٠

حينئذ خفق قلبى بعنف وكاد يتوقف عن النبض ، هربت
الدماء من أطرافى ، جف حلقى ، أحسست باجهد شديد ، ابتعدت
صور الأشياء من حولى ، أصبحت ضبابية اللون ولم أدر بعد ذلك
بما حدث . حتى أفتت على صوت الضابط سمير ، كان واقفا
بجانبى وأنا نائم على كنبه « فوتيه » فى مكتب العقيد .

ابتسم سمير وقال : أهلا ياكمال ، أطمئن ، أنت برىء ومجدى

• حتى يرزق

— ماذا تقول ٢٠ مجدى على قيد الحياة ١٢٠

— نعم كان مغنى عليه وأتم تسرعتم وكنتم مخدوعين •

— زوجتى فى مزرعة « أبو المجد » •

— أرسلنا من يحضرها •

— صحيح ، مجدى ما يزال حيا ٢٠

• وستراه بنفسك •

— لا ، لا داعى •

- حماك داخـت فى البـحث عنكم •
- لن نرجع الى كفر الغنىـى •
- اطلب نـقلك الى القاهـرة •
- لا ، سألشـى مزرعة •
- مزرعة ؟•
- ألم تقولوا ان لى مكافأة من « الاتريـول » ؟•
- نعم ، لكن الوظيفة ؟•
- غدا أقدم استقالـتى •
- أهذا قرارك النهائى ؟•
- نعم ، والطيور التى خرجت من عشها خائفة ، مذعورة لن تعود ثانية ، لن تعود لأن الحياة أصبحت غابة والناس فيها وحوش يقتـرس القـوى الضعيف •
- لكنك ستواجه مشاكل كثيرة ، البداية ستكون صعبة •
- طالما أن لى هنا فى رأسى عقل يفكر وهنا فى صدرى قلب ينبض بالايـمان والحب والعزيمة القوية سأغلب على كل المشاكـل •
- ربنا معك •

رقـم الإبداع بـدار الـكتب والـوثائق القومية : ٨٠/٢٨٠٨
 الترقيم الدولى : ١ ~ ٩٨٥ ~ ١١٨ ~ ٩٧٧ ~ ISBN

ألف ليلة وليلة

طبعة خاصة مهذبة

تزخر باكبر مجموعة قصصية عربية ، بتمتاز بالصراحة وصدق التعبير ،
وخصب الخيال ، والتصوير البديع ، والأساطير الجذابة ، والعواطف
المشبوكة ، والشخصيات الرائعة ، والمغامرات الباهرة ، والأجواء الساحرة
التي يعيش فيها القارئ ، وكأنما يعيش في أحلام لذبة ، وآمال حلوة ، وعالم
يزدحم بوقائع الجان ، وطبائع الانسان ، والصراع بين الخير والشر ، والفساد
والصلاح ، والفشل والنجاح .

تصدر في ستة أجزاء ثمن كل جزء ١٢٥ قرشا صدر منها
الجزء الأول وتصدر الأجزاء الباقية تباعا .

تصدر عن مؤسسة دار الهلال

كتاب الهلال يقدم

فى بيت أحمد أمين

بقلم : حسين احمد امين

يستعد العالم العربى للاحتفال عام ١٩٨٦ بالذكرى المئوية لمولد المفكر الدكتور احمد امين صاحب « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » و « ظهر الاسلام » وعشرات من الكتب الهامة .

ويسعد كتاب الهلال ان يكون اول من يسهم فى هذا الاحتفال بان يقدم كتابا شائقا ، بالغ الطرافة والجدة بقلم احد ابناءه الكاتب المعروف حسين احمد امين .

يصدر ٥ يوليو سنة ١٩٨٥ عن مؤسسة دار الهلال..

هذه الرواية

ان من يبدأ قراءة رواية « الطيور » لن تعود « للروائي المصري الجاد والمتمكن من ادواته الفنية الروائية » لا يمكنه - هذا القارئ - أن يترك هذا العمل بعد ان ينتهي منه .. ذلك لان الفنان يملك هذه السيطرة الهادئة العظيمة على الحكى .. وذلك بفضل الوضوح والجلال اللذين يقودانه في طريقه الفني .. وبفضل هذه اللغة .. هذه اللغة الفنية الرائعة التي لعلها اهم انجازات الروائي المصري عبدالمقصود محمد الذي كتب روايته وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره .. ولعله بدأ في تسجيل أحداثها وهو في الخامسة والعشرين .. اقول اللغة ، ذلك لان عبدالمقصود محمد قد توصل الى اكتشاف خطير .. وهو ان يضع لفته البلدية .. في قالب عربي فصيح وبليغ وسليم .. وكان هذه اللغة البسيطة - وبخاصة في الحوار - قد بدت في غلالة شفافة من الفصحى .. انك تسمع الحوار العامي خلف هذا الثوب الفصيح دون ان تحس بأى تصنع أو ادعاء أو تكلف .. وذلك لانه يمتلك مصريته ولفته العربية .

ان عبدالمقصود محمد الذي اقرا له لأول مرة يعنى وعيا واضحا بطريقته .. ولم يبدأ الكتابة الا بعد ان تأكد من هذا الوعي .. ولهذا فهو يسير في طريق رسم له خارطة واضحة المعالم . وشئ آخر احببته هو هذا التركيب الذكى الذى يلغوم به فى روايته .. وشئ ثالث هو روح المعاصرة التى تتجلى بوضوح فى مضمون روايته .. تحية اعجاب لروائي جديد .. عظيم .

توفيق حنا